

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

-تلمسان -

كلية الآداب و اللغات " قسم اللغة العربية و آدابها "

تخصص : الدراسات الأدبية بين القديم و الحديث



البلاغة الأدبية في القرآن الكريم

تفسير الزمخشري نموذجا .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

بوتشيش زينب

إعداد الطالبة :

أعضاء لجنة المناقشة :

رئيسا .	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ محمد عباس
مشرفا .	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/ أحمد دكار
عضوا .	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د محمد بن عمر
عضوا .	جامعة مستغانم	أستاذ محاضر "أ"	د.شارف لطروش
عضوا .	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. بن عزة عبد القادر

السنة الجامعية : 1432هـ-1433هـ/2012-2013 .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ

شكر و تقدير :

إلى أستاذي الفاضل : الأستاذ الدكتور أحمد دكار الذي أولاني
رعاية خاصة ، وتفضل بالإشراف على هذا البحث ، فكان لي
نعم العون و السند بعد الله سبحانه و تعالى .

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد عليه أفضل الصلاة
أزكى التسليم و بعد:

فقد تلازمت البلاغة العربية بالظاهرة الأدبية منذ الأزل و لم تنفك عنها إلا في عصور سادها
الضعف و التدهور في مناحي الحياة المختلفة ، و منها جانب الأدب .

و لقد اهتم العرب بالبلاغة اهتمامهم بالحياة العامة ، و جعلوها غاية في لسانهم العربي ، بما تستقيم
أساليبهم و بما يقتدي الشعراء و الكتاب ؛ إذ هي الأدب حاضرة فيه بمثابة المادة الحية التي تسري
في عروقه بهاء و رونقا و جمالا من ناحيتي المبنى و المعنى ، و لما جاء القرآن الكريم تأثروا بأساليبه
المعجزة و قوة بيانه . مما جعله الرافد الرئيسي للبلاغة العربية ، فوسع آفاق الذهن العربي الذي كان
مرتبطا بالحياة الصحراوية و ظروف معيشته مما فتح الباب للخيال من حديثه عن الغيبات كالجنة
و النار . ولعله — القرآن — كان الباعث الأول في التأليف البلاغي .

لقد كانت البلاغة العربية في مراحلها الأولى ممثلة تمثيلا أدبيا، إذ لم تكن مادة مقعدة و لما توسعت
رقعة الدولة الإسلامية و ظهرت الفرق الإسلامية و المناظرات الكلامية بدأ الاهتمام بفنون القول
لدى كل فرقة من الفرق . و توالى الكتابات البلاغية ومنها: عبد القاهر الجرجاني المتوفى (471
هـ) من خلال كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " و السكاكي

(ت 626هـ) في مؤلفه " المفتاح " و القزويني المتوفى (739هـ) بكتابه " تلخيص المفتاح "

و " الإيضاح " و نذكر كذلك الزمخشري في كتابه التفسيري للقرآن الكريم " الكشاف " الذي
ساهم كثيرا في إثراء الدرس البلاغي من خلال طرحه لقضايا بلاغية عديدة .

و انطلاقا من كلّ هذا كان اختيارنا موضوع : " البلاغة الأدبية في القرآن الكريم تفسير الزمخشري
نموذجا "

ولقد ساهمت عدة عوامل في اختياري لهذا الموضوع أهمها ميلي للدراسات البلاغية ، و يقيني أنّ
القرآن الكريم هو خير مجال لضبط أصول البلاغة العربية و بيانها ، و التعرف على أسرارها .

فيا ترى ما هي أهم القضايا البلاغية الأدبية التي احتواها القرآن الكريم ؟ ، و فيم تكمن بلاغته ؟
أفي نظمه ؟ أم أنه ثمة شيء آخر ؟ و هل يصنف كتاب " الكشاف " للزمخشري مع كتب البلاغة
الأدبية بالرغم من كونه كتاب تفسيري للقرآن ؟ و إذا كان كذلك فما هي أهم القضايا البلاغية
التي ضمّنها إياه ؟ و إلى أي مدى ساهم في إثراء الدرس البلاغي العربي ؟ .
و على هذا الأساس اقتضى البحث أن نستله بمقدمة و يليها مدخل لتبعه بعرض حرصنا على
هيكلته في فصلان و خاتمة .

ولقد كان المدخل و الموسوم بالبلاغة الأدبية بين التقليد و التجديد عبارة عن إطلالة عن الموضوع
بشكل عام ، و تحديد بعض المصطلحات التي مكنتنا من الولوج إلى الفصل الأوّل " الإعجاز
البلاغي في القرآن الكريم ذكرنا فيه النظم وعلاقته باللفظ و المعنى و الذي ضمناه بعض المفاهيم ،
فكانت البداية مع مفهوم النظم لغة و اصطلاحا ، ثم ذكرنا لمحة تاريخية عن نشأته و تطوره ،
وبعدها عرجنا على مظاهر إعجازه في القرآن الكريم ، و بعد ذلك ارتأينا أن نتبعه ب الأسلوب
القرآني مشيرين إلى مفهوم الأسلوب اللغوي و الاصطلاحي و بأسلوب الفاصلة القرآنية ، ثم قمنا
بعرض أهم خصائص الأسلوب القرآني لننتقل بعدها إلى التصوير الفني في القرآن الكريم مارين على
التصوير الفني المعتمد على الحقيقة ، ثمّ التصوير البياني المعتمد على الخيال لنذكر من خلاله
الاستعارة و المجاز المرسل و العقلي و التشبيه .

أمّا الفصل الثاني فقد عنواناه ب " المصطلحات البلاغية في تفسير الزمخشري ذكرنا فيه المميزات
العلمية و الثقافية للزمخشري ، لندخل بعد ذلك مباشرة إلى تحليل علم المعاني في الكشاف ، ثم علم
البيان ، لنتم بعلم البديع .

وأخيرا خاتمة وهي حوصلة بحثنا ، و التي عرضنا فيها أهم النتائج التي تحصلنا عليها .

وفد اعتمدنا كتب متنوعة و حرصنا قدر الإمكان على العودة إلى أمّهات الكتب ، و من المصادر
والمراجع الأساسية التي كانت عماد البحث نذكر :

منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه لمصطفى الصاوي الجويني و المباحث البلاغية عند

الزمخشري من خلال تفسير الكشاف للشارف لطروش .

الكشاف للزمخشري و الذي كان مادة المعالجة التطبيقية .

ولقد اقتضى البحث أن يكون المنهج المتبع فيه المنهج الوصفي القائم على الاستقراء

و التحليل و المقارنة و ذلك لتناسبه مع طبيعة الموضوع .

المدخل :

البلاغة الأدبية بين التقليد و التجديد

مدخل:

تلازمت البلاغة العربية بالقرآن الكريم و إعجازه باعتباره المثل الأعلى في البيان وروعة التأليف و التصوير، و بالرغم من أن العرب اشتهروا في جاهليتهم بالفصاحة و البلاغة إلا أن مجيء القرآن كان الباعث الأول للبحث؛ بعد أن أدهشتهم بلاغة نظمه عزموا على البحث و التأليف بغاية التحليل و الكشف عن مكامن الإعجاز.

الأمر الذي جعل البلاغة تأتي في ذروة علوم العربية اهتماما بتدبر البيان القرآني، و إن كان هذا لا ينفى وجود العناية البلاغية لدى طوائف أخرى من العلماء، إذ نجد إشارات لدى النحاة كسيبويه و نجدها عند علماء معاني القرآن كأبي عبيدة و الفراء و ابن قتيبة و هنا يظهر دور الدرس البلاغي في عملية التغيير و الانتقال.

أهمية علم البلاغة :

لعلم البلاغة أهمية كبيرة، و خاصة أنه العلم الذي تم في كنفه دراسة القرآن الكريم و تحليله و تفسيره . ذكر عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه "دلائل الإعجاز " على أنه لا يعلم بوجود علم "هو أرسخ أصلا و أسبق فرعا، و أحلى حني، و أعذب وردا، و أكرم نتاجا ، و أنور سراجا من علم البيان".¹

¹ عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" تحقيق محمد محمود شاكر (القاهرة مطبعة المدني ، ط3 ، 1413/1992) ص 4

فقد بين عبد القاهر الجرجاني أنه علم نشأ من القدم و ذلك مقارنة مع بقية علوم العربية الأخرى.

كما جعل الزمخشري معرفة كتاب الله و أسرارهِ مقتصرة على من كان ذا علم بالبلاغة و أن أي

مفسر للقران الكريم لا يمكنه تفسيره و معرفة سر إعجازه إلا إذا كان "قد برع في علمين مختصين

بالقران و هما علم المعاني و علم البيان، و تمهل في ارتيادهما آونة و تعب في التنقير عنهما أزمنا و

بعثته على تتبع مظانه همة في معرفة لطائف حجة الله... بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم

بخط".¹

و يظهر من خلال قوله هذا جليا أن البلاغة ليست مجرد ذلك العلم الذي تضبطه تقسيمات

معينة، و حدود تفصلها، إذ البلاغة غير ذلك تماما فهي استثمار كل ذلك و تحويله إلى مهارات

يحلل بها أسرار البيان و يكشف عن مكامن الجمال فيها.

و يرى ابن خلدون بأن الغاية الأسمى من وراء دراسة علم البلاغة هي فهم إعجاز القران الكريم، إذ

يقول: " و اعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي فهم الإعجاز في القران، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه

بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة و مفهومة، و هي أعلى مراتب الكلام، و مع الكمال فيها يختص

¹ جار الله أبو القاسم محمود محمد بن عمر الزمخشري "الكشاف عن حقائق و غوامض التنزيل و عيون الأفاويل في وجوه

التأليف " تحقيق عادل أحمد و علي محمد معوض (الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م) ص 96.

بالألفاظ في انتقائها و جودة رصفها و تركيبها، و هذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام على إدراكه، و إنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي و حصول ملكته"¹. و ابن خلدون في قوله هذا يذكر أن ثمرة علم البلاغة تكمن في فهم القرآن الكريم و إعجازه، الأمر الذي لا يتم حسبه إلا لمن اجتمع لديه الذوق و حصول الملكة فيدرك بعض الشيء و لم يقل يدركه، و هذا ما يدل على أن علم البلاغة علم واسع لا يمكن الإحاطة و الإمام به من كل جوانبه.

وتبعاً لكل هذا فإن حركة التأليف البلاغي تمخضت للأسباب عدة غير أن الدافع الرئيسي الذي كان وراء نضجها و تطورها، و إخراجها من باب التعقيد إلى التحليل هو دراسة الإعجاز القرآني .

و لعلّ هذا ما دفع عبد الغني بركة في كتابه "إعجاز القرآن و جوهه و أسرار" يرجع تطور البلاغة الأدبية أنه "تم في كنف دراسة الإعجاز القرآني، و محاولة الكشف عن خصائصه البيانية التي بوأته هذه القمة المعجزة"².

مصطلح البلاغة يفرض علينا في البحث اللجوء إلى بعض التعريفات و المفاهيم منها :

البلاغة لغة : هي الانتهاء و الوصول، يقال : بلغ الشيء يبلغ بلوغاً : وصل و انتهى، و تبلغ

¹¹ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون "المقدمة"، تحقيق علي عبد الواحد وافي القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

دط، 2002م، ص 138.

² عبد الغني سعد محمد بركة «إعجاز القرآن و جوهه و أسرار». القاهرة، مكتبة وهبة. 1989م، ص 3 .

بالشيء وصل إلى مراده، و البلاغة و الفصاحة، و قد بلغ بلاغة : صار بليغا".¹

أمّا البلاغة في الاصطلاح فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات نذكر بعضها منها على سبيل الذكر

لا الحصر.

عرفها علي بن عيسى الرماني بقوله : "و ليست البلاغة إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى من

متكلمان أحدهما بليغ و الأخر عيب، و إنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من

اللفظ".²

هذا ما يعكس أن البلاغة لا تنحصر في تلك الوظيفة النفعية التي تقصد الإفهام و الإيصال والتي

يتقاطع فيها سائر أنواع الكلام.

ومن تعريفات البلاغة ما أورده الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" قوله: قيل للفارسي ما البلاغة ؟

قال معرفة الفصل من الوصل، و قيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال: تصحيح الأقسام،

و اختيار الكلام. و قيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة، و الغزارة يوم

الإطالة. و قيل للهندي ما البلاغة: قال وضح الدلالة و انتهز الفرصة و حسن الإشارة ...".³

¹ ابن منظور: لسان العرب ص 498.

² علي بن عيسى الرماني "النكت في إعجاز القرآن" ص 75.

³ عمرو بن ببح الجاحظ "البيان و التبيين" تحقيق حسن السندوي ، بيروت، دار إحياء العلوم، ط 1، 1414 هـ / 1993 م، ص 95.

و ما ساقه الجاحظ في هذه التعريفات ما هو إلاّ وصف عام لما يجب أن يكون عليه البيان كوضوح الدلالة و حسن الإشارة.

و نجد أبو الهلال العسكري عرفها بقوله: " فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"¹.

و بذلك يركز على إيصال المعنى إلى قلب المخاطب ، فيحدث التواصل الذي يريده .

¹ أبو الهلال الحسن بن عبد الله العسكري "الصناعتين" تحقيق علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 2 ، ص 12.

البلاغة بين الدراسات القديمة و الحديثة:

أ- البلاغة في الدراسات القديمة:

لم تتغير النظرات البلاغية في بداية العصر الجاهلي عن نظرات الأدباء، و إشارات الشعراء، و حديث الحكماء، بل كانت الحالة الأدبية في ائتلاف واحد، إذ كان ما يعرف بالمحاكمات الأدبية للشعراء، و كانت الأسواق الأدبية للشعر و الشعراء، فلقد وردت أخبار تؤكد نظر أهل الجاهلية في الذوق الأدبي بما في ذلك الجمال البلاغي، و قد كانوا يصدرون أحكاما غير معللة و سطحية في غالب الأحيان و من هذا نذكر مثلا ما رواه طرفة بن العبد أنه استمع إلى المسيب بن علس في أثناء مروره بمجلس قيس بن ثعلبة، و قد أتم فيها بوصف بعيره¹ حيث قال:

و قد أتناسى همّ عند اذكاره بتاج عليه الصيعرية مكدم .

فقال طرفة "استنوق الجمل" إذ الصيعرية سمة خاصة بالنوق لا الجمال. و تعتبر هذه البدايات اللبنة الأولى للصورة البلاغية التي تلتها.

و في العصر الإسلامي كان القرآن الكريم الباعث إلى الاهتمام بالبلاغة القرآنية التي تنم عن

الصدق و الحق و العدل، و عليه نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من البيان سحرا و

إن من الشعر حكما".²

¹ المرجع السابق ص 91-92.

² مسند الإمام أحمد بن حنبل : دار الكتب العلمية بيروت. لبنان ط 2، 1978م، 1/ 327.

و ما يوضح صورة البلاغة أكثر في هذا العصر قول عمر في حكمه على شعر زهير بن أبي سلمى أنه كان "لا يعاقل بين الكلام حوشيه و لا يمدح الرجل إلا بما فيه".¹

و كانت معظم الإشارات البلاغية في هذا العصر لا تخرج عن النظر البلاغي و الذوق البياني.² و لذلك أسبابه.

و مع مجيء العصر الأموي ظهرت أحزاب و روافد منها من كانت الموجة للإطار البلاغي في هذا العصر، و من ذلك ما كان في مجلس عبد الملك بن مروان (82 هـ)، و ما كان في مجالس الحجاج بن يوسف الثقفي.

و في العصر العباسي اتسعت رقعة الدولة الإسلامية و دخل الناس في دين الله أفواجا و اختلط العرب بالفرس، و غيرهم من الوافدين للدولة الإسلامية من تجار و دارسين، و تنوعت روافد الفكر، من اتجاهات أدبية و فلسفية و عقديّة، و ظهرت الترجمة، و قامت الدراسات التي تمدح القرآن الكريم في جوانبه العديدة (لغته، تفسيره، مجازه، حقيقته) و إلى غير ذلك من دراسات الإعجاز القرآني.

فظهرت اتجاهات للبلاغة العربية و كانت متمثلة:

¹ الحسن بن رشيق القيرواني "العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط4، 1972م، ص 98.

² محمد بركات حمدي أبو علي "البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل" عمان دار البشير. ط1، 1991، ص 18-19.

- اتجاه الأدباء و النقاد.

- اتجاه النحويين و اللغويين .

- اتجاه دراسة الإعجاز القرآني.

- اتجاه الدراسات الفلسفية البلاغية.¹

و كل اتجاه كان يمثل لونا بلاغيا يضاف إلى غيره، إذ الاتجاه الأول مثلا كان يريد الذوق و يشرح

العبرة و يحافظ على بيان التركيب، في حين نجد أن الاتجاه الثاني يخدم المعنى القرآني من وجهة

نظر نحوية و لغوية، أما الاتجاه الثالث فلا يقف عند تبين مكامن البلاغة في كلام العرب

و حسب، و إنما يتعداها إلى وصل ذلك بكلام الله تعالى، و يبقى الاتجاه الرابع و الذي امتزج

بنظرات فلسفية.

و من أوائل العلماء الذين ألفوا في البلاغة نجد:

- أبو عبيدة معمر بن المثنى (112-206هـ) و يتمثل في مؤلفه "مجاز القرآن"

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (160-256هـ) و قد ألف البيان و التبیین"

- أبو العباس عبد الله بن المعتز (247-296هـ) في كتابه الموسوم "البديع".

¹ المرجع السابق ص 19.

و في القرن الثالث نجد :

قدمه بن جعفر (337 هـ) بكتابه "نقد الشعر" و ينسب إليه "نقد النثر"، أبو الهلال العسكري

(ت 395 هـ) بكتابه الصناعتين، و أبو بكر الباقلائي (ت 403) صاحب كتاب "إعجاز

القرآن"

و ابن سنان الخفاجي (466 هـ) صاحب كتاب "سر الفصاحة"، و ابن رشيقي (460) صاحب

كتاب العمدة و غيرهم.¹

و في القرن الرابع انتقل العلماء إلى لب البحث في مظاهر البيان و مشكلات البلاغة فبحثوا في

البلاغة نفسها و نجد هنا :

عبد القادر الجرجاني (481 هـ) صاحب كتاب "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"

و الزمخشري (ت 538 هـ) بتفسيره الكشاف.²

و بعد هذا بفترة هـ ذا ظهر السكافي (ت 626 هـ) بكتابه المفتاح و الذي تغلب عليه الفلسفة

و المنطق، ثم جاء القزويني فألف "تلخيص المفتاح" و الإيضاح.

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف "البلاغة العربية بين التقليد و التجديد"، بيروت، دار الجبل، ط1، 1412

هـ-1992، ص 34.

² المرجع نفسه ص 35.

ب-البلاغة في الدراسات الحديثة:

تعددت المذاهب الأدبية في العصر الحديث، فتعددت المفاهيم البيانية، وكثر

الحديث حول البلاغة، فريق يدعو إلى العناية بالمضمون، و آخر يدعو إلى مذهب الالتزام في الأدب، بينما نادى آخرون بالعناية بالشكل و الصورة .

و نجد سلامة موسى في كتابه "البلاغة العصرية" يدعو إلى نبذ البلاغة القديمة و التي يرى بأنها بلاغة العاطفة و الانفعال، و قال بما سماه بلاغة المنطق أي أن يكون المنطق هو أساس البلاغة لا اللغة.

و ألف الزيات كتابه "دفاع عن البلاغة" و حاول فيه إظهار و تبين الصعوبات التي تواجهها

البلاغة العربية. كما ألف محمد عرفة كتابه "مشكلة اللغة العربية" و رأى بأن اكتساب ملكة

البلاغة لا تكون بالاعتماد على القواعد الجافة، و إنما يحفظ النصوص الأدبية، و جاء أحمد الشايب

و ألف "الأسلوب" و أمين الخولي بكتابه " فن القول" حاول فيه الجمع بين بلاغة القدامى و

المحدثين. ثم ألفت كتب كثيرة في البلاغة منها البلاغة الواضحة للجارم علي،

و البلاغة العربية لخفاجي عبد المنعم، البلاغة للمراغي و غيرها.¹

غير أن كل هذه الدراسات كانت إما تقنين قواعد البلاغة العربية و إما شرح و تفسير بلاغة

القدامى. و بين التقنين و الشرح و التفسير كتابات بلاغية تراوحت بين المنهج والمضمون.

¹ المرجع السابق ص 14-15.

الفصل الأول : الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم .

– النظم و علاقته باللفظ و المعنى .

– الأسلوب القرآني .

– التصوير الفني في القرآن الكريم .

أولاً : النظم و علاقته باللفظ و المعنى :

1 مفهوم النظم لغة و اصطلاحاً :

أ- لغة :

اهتمت المعاجم العربية بتتبع أصل فكرة النظم ، و دلالاته المعنوية و مشتقاته اللغوية ، وتكاد تجمع على أنه عبارة عن الجمع و الضمّ و التأليف و التحسين.

جاء في لسان العرب لابن منظور: " النظم: التأليف، نظمُه ينظمُه نظاماً و نظاماً، و نظمُه فانتظم و تنتظم . و نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله ، ومنه نظمت الشعر و نظمته ، و نظم الأمر على المثل . و كل شيء قرنته بآخر ، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته و النظم المنظوم :وصف بالمصدر .¹

أما الفيروز آبادي في قاموسه المحيط فعرفه بقوله : " النظم التأليف ، وضمّ شيء إلى آخر ، و نظم اللؤلؤ ينظمه نظاماً و نظاماً ، و نظمته : ألفه و جمعه في سلك فانتظم . و المنظوم : الجماعة من الجراد وثلاثة كواكب من الجوزاء و الثريا ..."²

و قد ذكر الزمخشري فيما يتعلق بالنظم قوله : " نظمتُ الدرّ و نظمته ، و درّ منظوم و منظمّ ، و قد انتظم و تنتظم و تناظمت ، وله نظمّ منه ، و نظامّ و نظمّ ..."³

¹ ابن منظور جمال الدين " لسان العرب " دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 1414 هـ ، 1994م مادة "نظم" .¹

² الفيروز آبادي " القاموس المحيط " مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1998 ، مادة " نظم "

³ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري " أساس البلاغة " دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1989م مادة " نظم " .

وفي مختار الصحاح : " نظم اللؤلؤ جمعه في السلك و بابه ضرب و نظّمه تنظيما مثله ، و منه نظم

الشعر و نظّمه ، والنظام الخيط الذي ينظّم به اللؤلؤ " ¹.

وفي الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري نجده يفرق بين التأليف و الترتيب و التنظيم ؛ إذ يقول : "

التأليف يستعمل فيما يؤلف على استقامة و على اعوجاج ، و التنظيم و الترتيب لا يستعملان إلا فيما

يؤلف على استقامة ، و مع ذلك فإنّ بين الترتيب و التنظيم فرقا هو أنّ الترتيب : هو وضع الشيء مع

شكله ، و التنظيم : هو وضعه مع ما يظهرُ به ، و لهذا استعمل النظم في العقود و القلائد لأنّ خرزها

ألوان يوضع كل شيء منها مع ما يظهرُ به من لون " ²

و المتمعن في هذه التعريفات كلها يجد أنّها تسير في فلك واحد عند معظم اللغويين و هو ضمّ الشيء

إلى الشيء سواء أكان ذلك في الأمور المادية المحسوسة كنظم اللؤلؤ في الخيط ، و نظم بعض الكواكب ،

أم في الأمور المعنوية كنظم الشعر ، و نظم القرآن ، و هي العبارة التي نجدها قد ترددت كثيرا على

ألسنة بعض اللغويين كابن منظور و الجوهري و الفيروز أبادي و ابن سيده.

¹ أبو بكر عبد القادر الرازي " مختار الصحاح " دار الحديث للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مادة " نظم " .

² أبو هلال العسكري " الفروق اللغوية " تحقيق محمد إبراهيم ، دار العلم و الثقافة و النشر و التوزيع ، القاهرة 1997 ، ص 148 ،

ب- اصطلاحاً :

تناول عبد القاهر الجرجاني النظم انطلاقاً من معناه اللغوي و ذلك من خلال قوله : " معلوم أن ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض و جعل بعضها سبب بعض " .

كما أنه فرق بين الحروف المنظومة و الكلم المنظومة في قوله : " وذلك بأن نظم الحروف ، هو تواليها في النطق ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه له ما تحراًه ، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب)

لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد . و أمّا (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك ؛ لأنها تقتضي في نظمها آثار المعاني ، و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض ، وليس هو (النظم) الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء و اتفق ، و لذلك كان عندهم نظيراً للنسج ، و التأليف ، و الصياغة ، و البناء و الوشي و التحبير و ما أشبه ذلك " .¹

و الملاحظ للفرق بين " حروف منظومة " و " كلم منظومة " يجد أن الفائدة من معرفة و ذكر هذا الفرق في : " أنك إذا عرفته عرفت أنه ليس الغرض بنظم الكلم ، أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها ، و تلاققت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " .²

ومن هنا يتضح أنه لا بدّ للنظم من أمرين اثنين : " المعنى الذي نريد التحدث عنه ، هو اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى ، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التحدث عنه لا بدّ أن يختلف اللفظ حتى إن كانت مادته واحدة ، هناك إذا الصورة و المعنى الذي نعبر عنه بهذه الصورة " .

¹ المرجع نفسه ، ص 49 .

² المرجع نفسه ، ص 49-50 .

و عليه فإنّ النظم يقتضي ترتيب الكلام المنطوق به، و ذلك ليكون مطابقا و موافقا للمعاني التي تريد التعبير عنها.

و هكذا فالاختلاف في المعنى المراد التعبير عنه لا بد أن يؤدي إلى الاختلاف في النظم ، إذ النظم عملية فكرية لا بد لها من عمليتين : أوّلا : " ترتيب المعاني في النفس ، وثانيا : ترتيب الألفاظ في النطق . و ندرك كذلك أن النظم شيء غير اللفظ و المعنى " ¹

لقد نظر عبد القاهر الجرجاني إلى البلاغة على أنها علم واحد أساسه النظم الذي هو عبارة عن مجموعة من العلاقات التي تحقق استخدام الكلمة في سياقها المناسب .

ويمكن اعتبار هذا المفهوم - للنظم - بمثابة تأسيس لمبدأ التكاملية في عناصر الأداء الفني حيث اختيار الصورة النحوية المناسبة للمقام هي في حقيقة الأمر اهتداء لجمال التعبير النحوي البليغ .

و تلخص طريقة عبد القاهر الجرجاني في تناوله لقضية النظم فيما يلي :

1- أن الكلمات لا تتفاضل فيما بينها في الدلالة على المعنى قبل دخولها في نظم الكلم بأكثر من أن تكون مألوفة مستعملة ، في حين تكون الأخرى غريبة ووحشية . و إنّما تثبت للكلمة المفردة الفضيلة إن لاءمت المعاني التي تليها ، و هذا ما يدل عليه أنك ترى نفس الكلمة في موضع فتروك و تؤنسك ، و تراها في موضع آخر فتوحشك .

2- أن ترتيب الألفاظ في النطق، يكون على حسب ترتيب المعاني في النفس.

3- أنه لا نظم في الكلم حتى يتعلق بعضها ببعض، ومعنى هذا هو أنك: " تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا

لفعل أو مفعول ، أو أن تعمد إلى إسمين فتجعل أحدهما خبر عن الآخر أو أن تتبع الإسم إسما على أن

يكون صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه " ¹ .

¹ فضل حسن عباس و آخرون " إعجاز القرآن الكريم " دار الفرقان للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، دط ، 1991م ، ص 71 .

4- المزية في النظم هي من حيث المعنى. و من حيث اللفظ باعتبار دلالاته على المعنى ؛ لأن المراد بالمعنى : المعنى المصوّر الذي لا وجود له إلا بعملية الصياغة و النظم .

5_ ثمرة النظم هي تصوير المعنى ، وهذا التصوير يتألق في أروع صوره إذا جاء عن طريق الصور
البيانية .²

¹ عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 84 .

² المرجع نفسه ، ص 83-84 .

2 لحة تاريخية عن نشأة النظم و تطوره :

لم يظهر مصطلح النظم في العصر الجاهلي ، بل كان عندهم ما يُعرف بتميز شاعر عن الآخر في إجادة البيان و نظمه ، و لم تكن الأحكام النقدية آنذاك معلّلة ، بل كانت أحكام ارتجالية بالسليقة ؛ إذ كانوا يثنون على الشعر المجيد بروايته و تعليقه ، و الشعر الرديء بعدم روايته ، خوفاً من تتبعه

و احتذاء منواله ، و بهذا لم تكن هناك حركة نقدية ذات أركان و ضوابط.¹

و مع مجيء الإسلام، و تأثير القرآن الكريم ببلاغته من حيث تأليفه العجيب و نظمه المميز ، فكان المنبه للاهتمام به و تدارسه ، كونهم لم يستطيعوا الإتيان بمثله بعدما تحداهم بقوله : " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي

رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ " .²

من هنا بدأ الاهتمام بصناعة الكلام، و كان التركيز بادئ الأمر على صحة مخارج الحروف، وائتلافها و سلامة اللغة، و علاقة الألفاظ بعضها، و علاقتها مع المعنى و ما يحمله من جمال.

و في العصر العباسي توسعت الدولة العربية الإسلامية ، و اختلط العرب بالعجم ، فأخذ اللحن يتفشى ، و انحرف الذوق العربي ، فكان القرآن الكريم مصدراً للتقنين اللغوي ، و سبباً مباشراً للبحث عن سر الإعجاز القرآني و نظمه .

¹ صالح عيد " نظرية النظم " دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2002م ، ص 93-94 .

² سورة البقرة، الآية 23 .

و على الرغم من اقتران النظم بعبد القاهر الجرجاني ، إلا أن جذوره كانت ممتدة في التراث العربي ، و إن كان ليس بذلك المفهوم الواسع و الدقيق الذي أوجده .

ولعلّ أول إشارة نجدها لابن المقفع (ت 142هـ) في إشارة له إلى صياغة الكلام قائلاً: " فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل، و أن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم -و إن أحسن و أبلغ - ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا و زبرجدا ومرجانا ، فنظمه قلائد و سموطاً و أكاليل ، وضع كلّ فص موضعه ، و جمع إلى كل لون شبه و ما يزيده بذلك حسناً ."¹

✓ سيبويه : (ت 180هـ)

يعدّ سيبويه من أوائل من تحدثوا بعمق في جوانب الكلام وتحليله و ما يحدث فيه من تقديم و تأخير ، أو حذف و ذكر ، و ما يؤدي إلى صحته و فساده ، و حسنه و قبحه ، و في ذلك يقول :

" هذا باب الاستقامة من الكلام و الإحالة : فمنه مستقيم حسنٌ و محال ، و مستقيم كذب ، و مستقيم قبيح ، و ما هو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، و سأتيك غدا ، و أما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا و سأتيك أمس . و أما المستقيم الكذب فقولك :

حملت الجمل و شربت ماء البحر و نحوه ، و أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه ، و نحو قولك : قد زيدا رأيت ، و كي زيدا يأتيتك ، و أشباه هذا ، و أما المحال الكذب فأن تقول : سوف

¹ عبد الله بن المقفع " الأدب الصغير " تحقيق أحمد زكي، مصر، 1911، ص 7 .

أشرب ماء البحر أمس " ¹.

و سيبويه يتحدث هنا عن معنى النظم و ائتلاف الكلام ، و يجعل مدار الأمر على تأليف العبارة ، و ما فيها من حسن و قبح ، و اقتضاء وضع الألفاظ في موضعه الصحيح و المناسب ، و ذلك كعدم جواز دخول (قد ، كي) على الأسماء مما يؤدي إلى قبح النظم وفساده .

و استخدم سيبويه لفظ (البناء) الذي يدل على معنى النظم ؛ إذ الجملة حينما تنظم كلماتها تكون بناء مترابطة ، و أبان عن هذا البناء في باب (المسند و المسند إليه) بقوله : " و هما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر ، و لا يجد المتكلم منه بُدأً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك ، و هذا أخوك ، و مثل ذلك ، يذهبُ عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بُدأً من الآخر في الابتداء " ².

✓ بشر بن المعتمر : (ت 210هـ)

توجد عبارات في صحيفة بشر بن المعتمر تفيد معنى النظم و هي كقوله: " فإذا وجدت اللفظة

لم تقع موقعها ، و لم تصر إلى قرارها ، و إلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، و القافية لم تحل في

مركزها

و في نصابها ، و لم تتصل بشكلها ، و كانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكررهما على

اغتصاب الأماكن ، و التزول في غير مواطنها . " ³

✓ الجاحظ : (ت 255هـ)

1

¹ سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر " الكتاب " ص 8 .

² سيبويه " الكتاب " ص 23 .

³ الجاحظ " البيان و التبين " ص 13 .

للجاحظ كتاب وسمه ب " نظم القرآن " يقول فيه في كتاب الحيوان : " كما عنيت في كتابي

في الاحتجاج في نظم القران ، و غيب تأليفه ، و بديع تركيبه " .¹

و يقول في موضع آخر : " و في كتابنا المترل الذي يدّل على أنه صدق ، نظمه البديع الذي لا يقدرُ

على مثله العباد " .²

و الجاحظ في هذين القولين يقر أن القرآن الكريم ، إنما هو معجز بنظمه ، و ما فيه من بلاغة أسلوب

تأسر القلوب ، و بهذا فإن للجاحظ قصب السبق في وضع اللبنة الأولى لنظرية النظم ، و إن لم يكن قد

توسع في شرحها و تفصيلها .

✓ ابن قتيبة :

أرجع ابن قتيبة إعجاز القرآن الكريم ، إلى نظمه العجيب و تأليفه البليغ ، و أن هذا النظم

يعود إلى ما فيه - القرآن الكريم - من دقة في التعبير و إجادة في التصوير ، بأسلوب يثير القلوب .

و يأسر العقول لما فيه من المعاني البلاغية .

جاء في خطبة كتابه " تأويل مشكل القرآن " قوله : " الحمد لله الذي نھج لنا سبل الرشاد و هدانا

بنور الكتاب.... و قطع بعجز التأليف أطماع الكائدين، و أبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين.. " .³

و يظهر جليا من خلال قوله أنه سماه بالتأليف و النظم.

✓ المبرد: (ت 285هـ)

يرى المبرد أن البلاغة هي حسن النظم يقول : " فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى و اختيار

¹ الجاحظ أبو عثمان " الحيوان " تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الحلبي و أولاده ، 1938 ، ص 09 .

² المرجع نفسه ، ص 90 .

³ ابن قتيبة عبد الله بن مسلم " تأويل مشكل القرآن " تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط 2 ، 1973 ، ص 3

الكلام ، و حسن النظم ، حتى تكون الكلمة مقاربة أختها و معاضدة شكلها " ¹.

✓ محمد بن يزيد الواسطي : (ت 306هـ)

له كتاب وسمه ب " إعجاز القرآن في نظمه و تأليفه " غير أن هذا الكتاب لم يصل إلينا منه

شيء ، مع أن عبد القاهر الجرجاني كان قد شرحه مرتين و قد ضاعا ، و إن كان من خلال العنوان

يظهر لنا أن الكتاب أقام إعجاز القرآن البلاغي على نظمه . ²

✓ علي بن عيسى الرماني : (ت 386 هـ)

يستخدم الرماني مفهوم تعديل النظم و الذي يقف في أعلى مراتب البيان يقول : " و حسن

البيان في الكلام على مراتب : فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى

يحسن في السمع ، و يسهل على اللسان و تتقبله تقبل البرد ، و حتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه

من المرتبة . " ³

✓ ابن إبراهيم الخطابي (ت388) :

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي صاحب كتاب بيان إعجاز القرآن ، تحدث عن النظم

في التراكيب، و عن الارتباطات التي يطلق عليها النظم، و ذكر أنه يقوم بثلاثة أشياء: " لفظ

حامل، و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن و جددت هذه الأمور منه في غاية الشرف

¹ المبرد محمد بن يزيد " البلاغة " تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، 1965 ، ص 59 .

² حاتم صالح ضامن " نظرية النظم تاريخ و تطور " دار الحرية لطباعة ، بغداد ، 1979 م / 1399 هـ ، ص 13 / 14 .

³ الرماني علي بن عيسى " النكت في إعجاز القرآن " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، كلية الآداب بجامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، دط ، دت ، ص 107 .

والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ، أفصح و لا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً

أحسن تأليفاً و أشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه".¹

و هو في قوله هذا مدرك لجوهر فكرة النظم، و التي هي تعليق الكلام بطريقة منتظمة على وجه

مخصوص، كما أنه تبيين التكامل بين اللفظ و المعنى.

و النظم عنده ليس سهلاً ميسوراً و إنما يحتاج إلى ثقافة و مهارة، و في ذلك يقول: " و أما رسوم

النظم، فالحاجة إلى الثقافة و الحدق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ و زمام المعاني، و بها تنتظم أجزاء

الكلام، و يلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل فيها البيان".²

و هو يرى أن " رسوم النظم " تقوم بوظيفة هامة و مميزة، إذ من خلالها يتكون للكلام صورة في النفس

تسهم في تحقيق البيان.

✓ أبو الهلال العسكري: (ت 395هـ)

عقد أبو الهلال العسكري باباً في البيان عن حسن النظم و جودة الرصف و السبك قال: "

و حسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، و تمكّن في أماكنها و لا يستعمل فيها التقديم و التأخير

، و الحذف و الزيادة، إلا حذفاً لا يفسد الكلام و لا يعمي المعنى و تضم كل لفظة إلى شكلها".³

✓ أبو بكر الباقلائي: (ت 403هـ)

اهتم أبو بكر الباقلائي في كتابه إعجاز القرآن بالنظم و فنون البديع، و رأى أن القرآن الكريم

معجز بأسلوبه و نظمه البديع، و كذا تأثيره في النفوس.

¹ المرجع السابق، ص 16.

² المرجع نفسه، ص 32.

³ أبو هلال العسكري " الصناعتين " ص 167.

قال: " و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد من حسن النظم وبديع التأليف و الرصف."¹

✓ القاضي عبد الجبار : (ت 415هـ)

يرى القاضي عبد الجبار أن مكن الأهمية في ضم الكلمات ، إلى بعضها البعض ، و فصاحة الكلمة في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، إذ لم يعط قيمة للفظة المفردة ، يقول : " و اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم ، على طريق مخصوصة " .²

✓ عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)

تميّز عبد القاهر الجرجاني عن سابقيه ، و ذلك في أنه لم يكن مقلداً ، بل كان المؤسس لنظرية النظم ، بعد أن كانت عبارة عن أفكار و شذرات متناثرة تعتمها ضباية .
ولقد تحدث عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز عن العلماء الذين سبقوه إلى التنويه بالنظم و الإعلاء من شأنه و تفخيم قدره و في ذلك يقول: " و قد علمت اتفاق العلماء على تعظيم شأن النظم، و تفخيم قدره و التنويه بذكره ، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ ، وبتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلا به ، و أنه القطب الذي عليه المدار ، و العمود الذي به الاستقلال " .³

و لقد تمثل الإعجاز عند عبد القاهر في النظم و الذي هو تطبيق لمعاني النحو.

¹ أبو بكر الباقلاني " إعجاز القرآن " تحقيق أحمد صقر ، دط ، دت ، ص 69 .

² الأسد أبادي عبد الجبار " المعني في أبواب التوحيد والعدل " تحقيق أمين الخولي ، مطبعة دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1960 ، ج 17 ، ص 199 .

³ عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 54 .

و بعد عبد القاهر الجرجاني ، أصبحت نظرية النظم ميدانا رحبا واسعا للكثير من المفسرين الذين حاولوا تطبيق هذه النظرية من خلال تفسيراتهم لبيان إعجاز القرآن ، ولقد كان الزمخشري خيرا من توسع في تطبيق هذه النظرية و الإفادة منها ، إذ أعطاهما صبغة التدقيق اللغوي ، كما أضاف إلى معالمها الكثير من التفاصيل ، و استطاع بذلك أن يقدم صورة جيدة لتفسير القرآن تفسيرا بيانيا ، و لربما رجع إليه الفضل بعد الجرجاني ، للمزيد من الربط المفصل بين قضايا الإعجاز و فكرة النظم¹ و في هذا يقول الزمخشري : " النظم هو أم إعجاز القرآن ، و القانون الذي وقع عليه التحدي ، و مراعاته ، أهم ما يجب على المفسر ."² وهو بهذا قد أشاد إشادة عظيمة بالنظم، فعده أم الإعجاز، و درب التحدي.

تلك هي نظرية النظم ، و هذان هما صاحبها : البلاغي المؤسس عبد القاهر الجرجاني ، و المفسر المطبق الزمخشري .

¹ عفت الشرقاوي " بلاغة العطف في القرآن الكريم " ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص

. 35-34

² الزمخشري " الكشف " 2 / 536 .

3 مظاهر إعجاز النظم في القرآن الكريم :

يعد نظم القرآن أمراً فريداً و مباحين لكلام البلاغة فيه ، إنما هي وجه من نظم حروفه ، خلاف ما أنت واحد من كلام البلاغة ، فإن بلاغته إنما تصنع لموضعها ، وتبنى عليه ، فربما وقت ، و ربما أخلفت ، ولو هي رفعت من نظم الكلام ثم نزل غيرها في مكانها لرأيت النظم نفسه غير مختلف ، بل لكان عسى أن يصح و يوجد في مواضع كثيرة من كلامهم ، وأن نعرف له بذلك مزية في توازن حروفه ، و ائتلاف مخارجها ، و تناسب أصواتها ، ونحو هذا مما هو أصل الفصاحة ، ومما لا تغني فيه استعارة ولا مجاز ولا غيرها .¹

و إن إعجاز القرآن ليبدأ من الحروف : " فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه ؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ، ليمسك بها الآية و الآيات الكثيرة ، وهذا السر في إعجاز جملة إعجازاً أدبياً ، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية ، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان فهو يشبه الخلق الحي تمام المشاهدة " .²

و من المميزات التي تفرد بها القرآن الكريم في نظمه الاستواء و عدم التفاوت ؛ و ذلك أن طريقة نظمه تسير في مستوى واحد من حيث تركيب الحروف من ناحية الصوت و المخرج .

ومن وجوه النظم في القرآن الكريم أننا نجد للتكرار في القرآن الكريم أسرار ومنه قوله تعالى : "

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَّلَا ذِمَّةٌ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى

¹ مصطفى صادق الرافعي " إعجاز القرآن و البلاغة النبوية " دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، لبنان ، ط 2 ، 2002 م ، ص 149 - 150 .

² المرجع نفسه ، ص 150 .

قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ¹ " و قوله : "لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ² " .

الأول للكفار و الثاني لليهود ، وقيل ذكر الأول وجعل جزاء للشرط ، و أعاد ذلك تقبيحا فقال :

أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ³ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١١﴾³ . و بهذا لا يكون تكرارا

محضا.

امتاز القرآن الكريم بخاصية " التكرار " في بعض المواضع، و هي براعة و وجه من وجوه

نظمه، و حجة في الفصاحة و البلاغة ، إذ نجد بعض القصص مرات عديدة في مواضع و مناسبات مختلفة

، و قد يكون التكرار لإثبات الألوهية ، ذكر النعم ، ذكر الدار الآخرة ، وغيرها من الفوائد⁴ .

تحتاج الدقائق في النظم إلى امتلاك ذوق عال لإدراكها ، و ومثال ذلك ما ورد في مصاحبة

الوالدين الكافرين بالمعروف لا مودتهما؛ إذ المودة هي المحبة و الموالاة و هي من أفعال القلوب ، و الله

تعالى حذر من محبة و موالاة الكفار جميعا في قوله : " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

¹ سورة التوبة ، الآية 08 .

² سورة التوبة ، الآية 10 .

³ سورة التوبة ، الآية : 9-10 .

⁴ محمد بركات " البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل " ص 90 .

عَشِيرَتَهُمْ^١ " 1

في حين نجد أن المصاحبة من فعل صحب ، وهي من أفعال الجوارح ، وهي أهم من المادة ؛ إذ أنك تستطيع أن تصاحب بالمعروف إنسانا تودده ، والمؤمن مطالب بالمصاحبة بالمعروف من غير المودة لوالديه الكافرين ، وذلك في قوله تعالى : " وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ

فَلَا تُطِعْهُمَا^٢ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا^٣ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ^٤ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ

فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^٥ " 2

1 سورة المجادلة ، الآية 22 .

2 سورة لقمان ، الآية 15 .

ثانيا : الأسلوب القرآني :

1 مفهوم الأسلوب :

أ - لغة :

أشير إلى مفهوم الأسلوب في العديد من المعاجم اللغوية العربية، و من تلك التعريفات نذكر:

تعريف ابن منظور في معجمه لسان العرب : " يقال للسطر من النخيل أسلوب ، وكل طريق ممتد

فهو أسلوب ، الأسلوب الطريق و الوجه و المذهب ، و الأسلوب بالضم : الفن ، يقال : أخذ فلان في

أساليب من القول ، أي في أفانين منه ¹.

و جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي : " الأسلوب ، الطريق ، وعنق الأسد و الشموخ في الأنف ².

و يعرفه الفيومي في معجمه " المصباح المنير " بقوله : " الأسلوب بضم الهمزة : " الطريق و الفن و على

أسلوب من أساليب القوم ، أي على طريق من طرقهم ³.

و أما الزمخشري في معجمه " أساس البلاغة " فيعرفه بقوله : " سلبه ثوبه و هو سلب ، و أخذ سلب

القتيل و أسلاب القتلى ، و لبست الثكلى السلاب و هو الحداد ، و تسلبت و سلبت على ميتها فهي

مسلب ، و الاحداد على الزوج و التسليب عام ، و سلكت أسلوب فلان طريقته و كلامه على أساليب

حسنة ، و من المجاز ، سلبه فؤاده و عقله ، واستلبه و هو مستلب العقل ⁴.

و على العموم فإن جميع المفاهيم تدل فيما معناها على الطريق و المسلك و المنهج.

¹ ابن منظور " لسان العرب " مادة : سلب .

² محمد الفيروز آبادي " القاموس المحيط " مادة: سلب .

³ الفيومي " المصباح المنير " مادة سلب .

⁴ الزمخشري " أساس البلاغة " مادة : سلب .

ب - اصطلاحا :

اهتم العرب القدامى بمفهوم الأسلوب عناية خاصة، كونه يعد مدخلا للكشف عن القيم الجمالية الموجودة داخل النص الأدبي، ويتجلى هذا من خلال اهتمامهم الواضح باللفظ، و الذي درسه من خلال مستويين إثنيين :

❖ المستوى المادي : و يتصل بمفهوم اللفظة من الناحية الشكلية .

❖ المستوى الفني : يرتبط بسلوكيات المقولات الكلامية .

الأسلوب عند القدامى :

يرى حازم القرطنجي أن الأسلوب : " هيئة تحصل عن التعريفات المعنوية ، وأن النظم هيئة تحصل

على التأليفات اللفظية ، وأن الأسلوب من المعاني بإزاء النظم في الألفاظ " ¹.

فالأسلوب في نظره هو مما يختص بالمعاني ، على أنه النظم مما يختص بالألفاظ . و يفسر ذلك بقوله :

" أن الأسلوب يحصل على كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من الجهات ، فكان بمنزلة النظم في الألفاظ

الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ و العبارات " ².

كما رأى بأن تحديد ماهية الأسلوب يعود إلى أمرين اثنين و هما :

✓ الإعجاز القرآني و الذي يعود اطراد أسلوبه إلى ثنائيتي الفصاحة و البلاغة .

¹ محمد كريمة الكواز " علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات " جامعة السابع من أبريل ، ليبيا ، ط 1 ، 1426هـ ، ص 19 .

² عبد القادر عبد الجليل " الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية " دار صفاء ، عمان ، ط 1 ، 2002م ، ص 107 .

✓ ربط الأسلوب بطبيعة الجنس الأدبي في حديثه عن جنس الشعر .¹

أما ابن خلدون فقد تناول الأسلوب في فصل صناعة الشعر و باب تعلمه يقول بأنه عبارة

: " على المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار

إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب الذي

هو وظيفة البلاغة و البيان ".²

و يقول في موضع آخر أن الأسلوب : " عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، و القالب الذي

يفرغ فيه ، و لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب (أي النحو) و لا

باعتبار إفادته كمال للمعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة العروض ، إنما يرجع إلى صورة ذهنية

للتراكيب منتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيب خاص و تلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان

التراكيب و أشخاصها و يعيدها في الخيال كالقالب و المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب

باعتبار الإعراب و البيان ".³ فالأسلوب عنده هو قالب تنصب فيه التراكيب اللغوية المنتقاة

الأسلوب عند المحدثين :

اختلف الأدباء و العرب المحدثون في تعريفهم للأسلوب ، وهذا عائد إلى مصادر ثقافة هؤلاء

الدارسين ، و من بين هؤلاء نذكر :

أحمد الشايب في كتابه الأسلوب ، و الذي ذكر فيه العديد من التعريفات منها :

¹ محمد كريم الكواز " علم الأسلوب مفاهيم و تطبيقات " ص 18 .

² عبد الرحمن بن خلدون " المقدمة " ص 631 .

³ المرجع السابق ، ص 632 .

أن الأسلوب هو: " فنّ من الكلام يكون قصصاً أو حواراً ، أو تشبيهاً ، أو مجازاً ، أو كتابةً ، أو تقريراً ، أو حكماً ، أو أمثالاً ."¹

أنه: " طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتعبير بما عن المعاني قصد الإيضاح و التأثير ."

كما أنه "الصورة اللفظية التي يعثر بها على المعاني، أو نظم الكلام و تأليفه لأداء الأفكار و عرض الخيال و العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني".²

فمن خلال هذه التعريفات نجد يحدد تلك العملية الإجرائية المساندة للتطورات التي تحدث في ميدان الفكر.

¹ عبد القادر عبد الحليل " الأسلوبية و ثلاثية الدوائر البلاغية " ص 111 .

² المرجع نفسه ، ص 111 .

2 أسلوب الفاصلة القرآنية :

للفاصلة القرآنية خصائصها المميزة لها ، فهي ترد في الموضوع المناسب لها تماما من حيث المناسبة بين اللفظ و المعنى و الإيقاع ، ومن خلال أوجه اختيارها أيضا : " بحيث يستحيل البتة أن يكون في موضع ، أو حرف نافر ، أو جملة غير محكمة ، أو شيء مما تنفذ في نقده الصنعة الإنسانية من أي باب من أبواب الكلام ، إن وسعها " ¹.

و في كتاب الله عز و جل نجد أن صورته لم تخلوا من الفواصل القرآنية ، وذلك راجع إلى عذوبة ألفاظها و حسن دلالتها ، وفوائدها العديدة ، إذ تتجلى روعة البلاغة في القرآن الكريم في فواصل الآيات ، بجرس موسيقي قوي في الكلمات البليغة المتلاحقة : " لتترك في نفوس العرب و نفوس المتكبرين المكابرين ، من أي ملة أثرا عظيما ، ووقعا شديدا عند سماعهم لهذه الآيات الموجزة ، ذات المعاني المستفيضة ، لعل ما في ذلك التدافع في الآيات القصيرة ذات النغم المتوافق الناجم عن تناسب الفواصل ، ما ينبه حواس السامع إلى الاستجابة لذلك الجرس و التفاعل معه و التأثير به " ².

وتختلف فواصل القرآن فيما بينها ، من حيث الطول و القصر ، كما تختلف باختلاف السورة ؛ إذ السور المدنية تتعلق بالتشريع ، و تفصيل الأحكام و ذكر المعاملات فيما بين الناس و بذلك نجد فواصلها طويلة فضفاضة ، في حين نجد أن فواصل السور المكية قصيرة و سريعة الإيقاع و ذلك لتعلقها ، بالدعوة و التوحيد و الترغيب و التهيب.

و في هذا يقول كمال عبد الغني : " لذلك نجد الفواصل في القرآن المكي متوالية متلاحقة تبرز كيانهم

¹ الرافي " تاريخ آداب العرب " ج 2 ص 216 .

² كمال الدين عبد الغني مرسى " مراعاة النظر في كتاب الله العلي القدير " دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دط ، 1997 م ص 116 - 117 .

، و تزلزل كفرهم و عنادهم ، لتستأصل نوازع الشر من صدورهم ، وتدفعهم دفعا إلى الدين الجديد ، و إلى الشريعة السديدة ، وتهديهم سبل الرشاد بعد الضلال ، أما الفواصل في القرآن المدني ، فجاءت غالبا فضفاضة متباعدة ، لأن الأمر أصبح تشريع و تفصيل ، و الفواصل في القرآن مكية و مدنية ، أحدثت في نفوسهم دويا رهيبا مهيبا ، لأنهم لم يستطيعوا حياها مقاومة أو تكديبا ، فهي من واقع كلامهم و نهم أساليهم¹ .

و نذكر هنا بعض العناصر التي تزيد من بلاغة وروعة الفاصلة القرآنية :

1. مراعاة الفاصلة القرآنية :

يعد القرآن الكريم كلام الله المعجز بفصاحته و أساليبه و فواصله ، ولو أخذ بليغ كلمة منه و أراد استبدالها لما نجح ، إذ له مسحة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي ، و جماله اللغوي . وهنا نذكر قصة الأعرابي الذي سمع الأصمعي يقرأ القرآن قال : " كنت أقرأ " و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ورسوله و الله غفور رحيم " و بجني أعرابي فقال كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله ، فقال : ليس هذا كلام الله ، قال أعد ، فأعدت فانتبهت فقراءت " وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ² فقال أصبت هذا كلام الله ، فقلت أتقرأ القرآن ؟ فقال : لا ، فقلت : من أين علمت ؟ فقال : يا هذا عزّ فحكّم فقطع ، و لو غفر و رحم لما قطع " ³ .

¹ كمال الدين عبد الغني المرسي " فواصل الآيات القرآنية " ص 197 - 198 .

² سورة المائدة ، الآية : 38 .

³ بلقاسم البغدادي " المعجزة القرآنية " ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، دط ، 1992 ، ص 105 .

ففي الغالب الأعمّ تكون الفاصلة القرآنية مرتبطة مع المعنى الذي سبقها ، بناءً عن كونها تأتي في نهاية الآية و على هذا الأساس فإن مراعاة الفاصلة تشتمل على :

➤ زيادة حرف في الفاصلة :

وهذا ما نجده يرد بكثرة لما له من مسحة جمالية يتركها في الآية ، و هو كزيادة حرف الألف في الكلمة الأخيرة من الفاصلة ، كألف الإطلاق في الشعر ، إذ ألحقت الألف في عدد من الآيات بأواخر كلماتها و شملها الفتح مطلقاً ، وتبرز هذه في سورة الأحزاب في ثلاثة مواضع يقول الله تعالى : " وَتَظُنُّونَ

بِاللَّهِ الظُّنُونًا " ¹.

فمعظم الآيات في سور القرآن الكريم تنتهي بألف منقلبة على تنوين وقفا ، فزيد على النون ألف

المناسبة ².

و مثله كذلك قوله عز وجل : " يَلِيَّتِنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا " ³

و قوله تعالى : " وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا " ⁴

و نجد أمثلة أخرى و هي بزيادة هاء السكت ، على نحو ما ورد في سورة الحاقة في قوله تعالى : " يَوْمَئِذٍ

تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَبِيَةٌ

¹ سورة الأحزاب ، الآية : 10.

² الزركشي " البرهان في علوم القرآن " 1 / 61 .

³ سورة الأحزاب ، الآية : 66 .

⁴ سورة الأحزاب ، الآية : 67 .

﴿١١﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿١٢﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٣﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٤﴾ قُطُوفُهَا

دَانِيَةٌ ﴿١٥﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿١٧﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿١٨﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ

﴿١٩﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٠﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢١﴾. ¹ هاء السكت هنا ، أكسبت الآيات بهاء

ولسعة سحرية يقف المرء حيالها خاشعا مبهورا " تمززه أعماقه و هو مذهول لهذا الوضع الموسيقي الحزين

المنبعث من أقصى الصدر و أواخر الحلق ، بأنفاس متقطعة و عواطف متهجدة ، وواجهة متفكرة في مناخ

نفسي متفائل تارة ، و متشائم تارة أخرى ، أي في حالة متأرجحة بين اليأس و الرجاء و الأمل و الفرع ² .

فالفاصلة القرآنية في هذه الآيات من سورة الحاقة تصور لنا مشهدين متعاكسين : المشهد الأول و هو

مشهد ذلك العبد الذي نجح من عذاب الله و هو في حالة من الفرح و السرور داعيا إلى قراءة كتابه لما فيه

من أعمال حسنة ، أما المشهد الثاني فهو مشهد ذلك العبد الذي خسر خسرا مبينا .

ومن أمثلة زيادة حرف في الفاصلة نذكر مثلا لزيادة حرف الهاء الذي يأتي ضميرا ملصقا بالفواصل ، و هو

كقوله تعالى : " يَبْصُرُونَهُمْ ^ج يَوْدُ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَيْهِ

وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ " ³ .

و الهاء هنا أصلية ، ضمير ، و قد حققت وقعا كبيرا في النفوس و جرسا في الأذن و قوة في امتلاك

¹ سورة الحاقة ، الآية : 18 - 29 .

² سيد قطب " في ظلال القرآن " دار الشروق ، ط 38 ، دت ، 6 / 374 .

³ سورة المعارج ، الآية : 11 - 14 .

المشاعر .

➤ حذف حرف الفاصلة :

هو عنصر يندرج ضمن رعاية الفواصل و هو كقوله عز وجل: " وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿٦١﴾ " .¹ حذف

فيها الياء لتأتي مناسبة لفواصل السورة القرآنية {الفجر، عشر، الوتر، حجر}.

و قوله تعالى : " قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَّآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ

لِيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا

مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي

يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ " .² حذف ياء المتكلم في { يهدين ، يسقين ، يشفين ، يحين } . حفاظا على إتباع

حرف الروي السابق في { تعبدون ، الأقدمون } .

و قوله تعالى : " فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكُرٍ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ تَخِرُّجُونَ مِنْ

الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٧٨﴾ " .³

يرى سيد قطب أنه إذا لم تحذف الياء في الداع ، فستحس بما يشبه الكسر في وزن الشعر .⁴

¹ سورة الفجر ، الآية 4 .

² سورة الشعراء ، الآية : 75-82 .

³ سورة القمر ، الآية : 6-8 .

⁴ سيد قطب " التصوير الفني في القرآن " دار الشروق ، بيروت ، دط ، دت ، ص 87 .

2. التقديم و التأخير :

يعدّ التقديم والتأخير أحد أهم الأعراض البلاغية، وسر من أسرار جمالها إذ يعد سبيل نقل

معاني الألفاظ لمخاطب ، حسب ترتيبها في ذهن المتكلم .

و يذكر الجرجاني أنه : " بابٌ كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك

عن بديعة ، ويفتر لك عن لطيفه ، و يلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك

و لطف عندك أن قدم فيه شيء و حول اللفظ من مكان إلى مكان ."¹

و ما ذهب إليه الجرجاني في قوله هذا مرتبط بغير القول عامة ، سواء شعرا أم نثرا .

و من أمثلة التقديم و التأخير في القرآن الكريم نذكر :

❖ التقديم بالرتبة :

و ذلك من مثل قوله تعالى : " وَأَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ

يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ " .² ففي هذه الآية الكريمة قدم الله عزّ و جل الشخص الذي يؤدي

فريضة الحج راجلا على من يأتي راكبا : " لأن الذي يأتي راجلا يأتي من المكان القريب ، و الذي يأتي على

الضامر يأتي من المكان البعيد ."³

¹ الجرجاني عبد القاهر " دلائل الإعجاز " ص 84 .

² سورة الحج ، الآية 27 .

³ عبد الفتاح لاشين " ابن القيم و حسه البلاغي في تفسير القرآن " دار رائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م،

❖ التقديم بالفضل و الشرف :

وهو كتقديم النبيين على الصديقين كما في قوله تعالى : وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ

الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا¹

وقوله تعالى أيضا و هو في تقديم الإنس على الجن : " وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا² "

كما قدّم القرآن الكريم المال على الأولاد في الكثير من المواضع ، فقدم السبب على المسبب ؛ إذ المال هو

سبب تمام النعمة بالولد ، فالولد بعد وجود المال نعمة ، في حين نجد أن الولد مع الفقر وسوء الحال يعدّ

مضرة³ .

ومن أمثلة التقديم والتأخير بنية الفضل و الشرف أيضا : تقديم السمع على البصر كما في قوله تعالى

:" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ⁴ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

"⁴ و قوله أيضا : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ⁵ " "

¹ سورة النساء، الآية: 69.

² سورة الجن، الآية: 05.

³ عبد الفتاح لاشين " ابن القيم و حسه البلاغي في القرآن " ص 102.

⁴ سورة الإسراء ، الآية 36 .

⁵ سورة الحج ، الآية : 61 .

قدّم الله السمع على البصر لما له من أهمية عظيمة في حياة الإنسان ، إذ العلوم المحصلة بالسمع أضعاف

العلوم المحصلة بالبصر ، وهذا ما نجدّه عادة في واقع الحياة ، إذ نجد المصاب بالعمى لا ينعكس فقدان

بصرهم على بصيرتهم، مما يجعلهم قادرين على تحصيل مختلف العلوم ، في حين نجد أن المصاب بالصمم يعاني

من البكم ، كما أنه لا يصل بعيدا في تحصيل دراسته .

3. أسلوب التكرار في الفواصل القرآنية :

هي ظاهرة نجدها في القرآن الكريم و في الفاصلة القرآنية و لها أكثر من نوع :

❖ الصوت المتكرر:

يتخذ القرآن الكريم من ظاهرة تكرير الصوت في الفاصلة القرآنية وسيلة بلاغية لتصوير

الموقف أكثر دقة و الإيحاء على ما يدل عليه مما يجعل المعنى أكثر وضوحا و جلاء و يترك أثرا ووقعا في

النفس . و من ذلك قوله عزّ و جلّ في سورة الناس : " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾

إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ " .¹

الملاحظ في هذه السورة ، تكرار حرف السين في أواخر فواصلها ، وهو صوت صامت احتكاكي ،

لا يستطيع الشخص النطق به و هو مفتوح الفم ، حتى تكاد أن تلتقي فيه الأسنان السفلى بالأسنان

العليا ؛ و إنما خيّر هذا الصوت لإبراز الوسوسة وهي أمرٌ عادة ما يخافت به أهله .²

و من مظاهر تكرار الحروف أيضا ما يتعلق بتكرار فواتح السور ، و يعدّ معجزة كبرى لما في تلك

الحروف من إشباع بالمد ، وبراعة في الاستهلال ، فيكون بمثابة تهيئة نفسية للقارئ لما سيسمعه ، و يبين

الباقلاني هذا بقوله : " لأن الحروف التي بنا عليها العرب كلامهم تسعة و عشرون حرفا ، وعدد السور

التي افتتحت فيها بذكر الحروف ثمان و عشرون سورة ، ليكون هذا برهنا ساطعا على أن القرآن الكريم

¹ سورة الناس ، الآية : 1-6 .

² كمال عبد الغني المرسي " فواصل الآيات القرآنية " ص 172 .

منتظم من الحروف التي ينتظم بها العرب كلامهم ممثلة - هذه الحروف - كل الظواهر الصوتية الموجودة في اللغة العربية ، مهموس و مجهور شديد ورخو .¹

فلقد كان هذا النوع من الأسلوب " التكرار " إعجازا و إثباتا للإنس و الجن على أنه لا يستطيع الإتيان بمثله أحد و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وهذا ما : " يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه ، و قد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تخصصها في النظم إذا كانت حروفا كنحو : (الم)² .

وهذا ما يدل على تلك المسحة الجمالية التي يضيفها تكرار الصوت في الفاصلة القرآنية من تناغم و إيقاع جميل ، وأنه لا مجال للمقارنة بين كلام الله عزّ و جل و كلام البشر مهما علت درجاتهم في الفصاحة و البلاغة .

❖ تكرار اللفظ :

بعكس الكلام البشري الذي يؤدي به تكرار الألفاظ إلى الإطناب و الملل في الكثير من الأحيان و المواضيع ، نجد أن القرآن الكريم يزخر بالألفاظ المكررة و التي بلغت حدّ الإعجاز ، إذ تكرار اللفظ في القرآن يأتي على وجه التأكيد وهو يدلّ على عظمة المعنى دون شك و نذكر على سبيل المثال قوله عزّ

و جل: " الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ " .³

للفظة الحاقة جرس مدوي و معنى مؤثر ، حامل لمعنى الجد و الحق و الكلام الفصل الذي لا جدال فيه إذ

¹ الباقلاي " إعجاز القرآن " ص 36 .

² الباقلاي " إعجاز القرآن " ص 37 .

³ سورة الحاقة ، الآية 1-3 .

"الألفاظ في السورة بجرسها و معانيها و باجتماعها في التركيبتشارك في إطلاق هذا الجو
وتصويره ، فهو يبدأ فيلقبها كلمة مفردة لا خبر لها في ظاهر اللفظة " الحاقة " ثم يتبعها باستفهام حافل
بالاستهوال و الاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم " ما الحاقة ؟" ، ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام
بالتجهيل و إخراج المسألة عن حدود العلم و الإدراك " و ما أدراك ما الحاقة " ثم يسكت فلا يجيب
على هذا السؤال ، ويدعك واقفا أمام هذا الأمر المستهول المستعظم الذي لا تدريه و لا يتأتى لك أن
تدريه ، لأنه أعظم من أن يحيط به العلم و الإدراك " ¹.

فتكرار لفظة " الحاقة " أتى للتهويل و الردع و الإنذار ، و أن يوم القيامة لا يدركه أحد في شدته
و هوله .

ونحو ذلك ما جاء في سورة "الرحمن" إذ تكرر قوله تعالى : " فبأي آلاء ربكما تكذبان " إحدى
و ثلاثين مرة ، إذ كل واحدة متعلقة بما فيها ، إذ كلما ذكر نعمة من النعم إلا و طلب إقرارها بالحمد
و الشكر .

لعلّ التكرار ورد هكذا طردا للغفلة و تأكيدا للحجة .

وقد يأتي التكرار في القرآن الكريم في الكلمة مقرونة بحرف يخالف الآخر ، و من ذلك قول الله عز

وجل : " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٦﴾ " ² و قوله عز وجل " وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا " ³.

¹ سيد قطب " في ظلال القرآن ج 6 ، ص 3677 .

² سورة طه ، الآية : 39 .

³ سورة هود ، الآية : 37 .

وقوله تعالى: "وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا"¹ وقوله أيضا: "تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ

كُفِرَ²

يرى محمد سعادة في كتابه " من أسرار النظم القرآني " أنه قال في "الأولى على عيني بحرف على لأنها وردت في إظهار أمر كان خفيا ، فإن الأطفال إذ ذاك و منهم موسى كانوا يربون سرا ، فلما أراد الله أن يُصنع موسى ويربي على حال أمن ، وأمر ظاهر لا تحت خوف و استتار ، دخلت على في اللفظة تنبئها على المعنى لما فيها من معنى الاستعلاء ، كأنه يقول : و لتصنع على أمن لا تحت خوف ، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية و الحفظ فقط ، و لا يريد إظهار شيء مستتر فلا يحتاج لذكر على "³.

ومن أنواع التكرار في القرآن الكريم أيضا تكرر الأفعال ، فقد يكرر الفعل بصيغ مختلفة حسب

الإسناد إلى الضمائر ، ومن أمثله نذكر قوله تعالى : " أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي

الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٦٦﴾ "⁴ ثم قال : فَأَرْدْنَا

أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ "⁵ ليتبعها بقوله : " فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

أَشَدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَثْرَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ "⁶.

¹ سورة الطور الآية 48

² سورة القمر ، الآية : 14 .

³ محمد سعادة " من أسرار النظم القرآني آيات و عبر " ص 186 .

⁴ سورة الكهف الآية 79 .

⁵ سورة الكهف ، الآية : 81 .

⁶ سورة الكهف ، الآية 82 .

في الآية الأولى أسند الفعل "أردت" إلى ضميره لأنه عيب نسبه إلى نفسه ، وهو من باب الأدب مع الله ، فتأدب فنسب إغابة السفينة لنفسه كما قال " بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ¹ ، واقتصر عليه و لم ينسب الشر له تأدبا ، وإن كان بيده الخير و الشر ، أما في الثاني في قوله " أردنا " أسند الفعل إلى ضمير الجماعة

و المعظم نفسه لأنه تضمن سلامة الأبوين من الكفر ، و إبداهما خيرا منه ، فجعل الإرادة مشتركة بينهما . وفي الثالثة قال " فأراد ربك " فهو خبر محض وهو أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كترهما فنسبه لله وحده ، و لأن ذلك كان في زمن طويل غيب من الغيوب فحسن إفراد هذا الموضع بذكر الله تعالى. " ²

زمن التكرار العجيب في القرآن تكرر لفظة " ذات " في قوله تعالى : " وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ

رُجُودٌ ³ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ " ³.

كرر الله تعالى لفظة " ذات " لحكمة يعلمها ، ومنها أن المدة بين التقلبتين طويلة ، قد تكون سنة ، ولو قال نقلبهم ذات اليمين و الشمال يكون المعنى صحيحا ، ولكن المدة في التقلب من جهة لأخرى تكون في وقت واحد. ⁴

و هنا نلاحظ أن تكرر لفظة قد يغيّر من معنى الآية، كما أن هذه الألفاظ المكررة بإيقاعاتها

¹ سورة ال عمران ، الآية : 26 .

² الزمخشري " الكشاف " 1 / 496 .

³ سورة الكهف ، الآية : 18 .

⁴ محمد سعادة " من أسرار النظم القرآني آيات و عبر " ص 189 .

و صورها و جرس فواصلها تزيد من قوة الانتباه، وتأخذ النفس من أعماقها، و تبعث فيها روعة

الإعجاز البلاغي الرباني.

❖ تكرار الجمل:

يزخر القرآن الكريم بهذا النوع من التكرار و من أمثلته قوله تعالى : " أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ

لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا

وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٨﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ

وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءَلَهُ مَعَ

اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٤﴾¹.

في هذه الآيات نجد دعوة للتأمل و التفكير في هذا الخالق الذي خلق كل شيء و أحسن خلقه

¹ سورة النمل ، الآية 60- 64 .

و أتقنه و ما يلفت الانتباه هنا هو تكرار الجملة " إله مع الله " و التي تعدّ بمثابة العماد الأساس، و النواة التي يدور حولها معنى الآية ككل، و فيها بيان على قدرة المولى عزّ و جلّ في التسيير و التدبير و الإبداع ، فهو الذي رفع و وضع ، و ضرّ و نفع ، و وهب و نزع ، و فرّق و جمع ، و أعطى و منع .
 و هذا النوع من التكرار هو ما يسميه النقاد ب " اللازمة في الشعر " و نجد مثله في قصائد الجاهلية نحو قصيدة المهلهل التي تكرر فيها : " على أن ليس عدلا من كليب "

على أن ليس عدلا من كليب	إذا ضــــم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب	إذا خيف المخوف من الشعور
على أن ليس عدلا من كليب	غداة بلابل الأمر الكبيــــر ¹

فتكرار هذه الجملة الشعرية يصور الحالة النفسية للمبدع وفق دلالات جمالية ، كما أنه يبرز شدة الحنين و الوجد الحزن الشديد لفراق أخيه كليب و كآته " لازم من لوازم التوجع في هذا المقام ، إذ ليس هناك ما يعدّد المناقب أو يستدر الدموع من مآقيها سواه " ²
 و من خلال الأمثلة السابقة نلاحظ أن لأسلوب التكرار أهمية كبرى ، لما له من وظيفة هامة سواء في الجانب اللغوي ، أو الجانب الإيقاعي ، أو حتى من جانب المعنى . و إن كان يقع عادة لإبراز أهمية الكلام المذكور ، و منه إيصال رسالة معينة .

4. أسلوب الإيقاع في الفواصل القرآنية :

¹ صلاح الدين محمد عبد التواب " النقد الأدبي دراسة نقدية و أدبية حول إعجاز القرآن " ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، 2003م ، ص 43 .

² صلاح الدين عبد التواب " النقد الأدبي " ص 43 .

يعدّ الإيقاع الصوتي لفواصل القرآنية إيقاع متفرد ، لا يماثله أي إيقاع ، و هو منبعث من

النص القرآني في تكوينه الصوتي . فهو منبعث من تآلف الحروف ، و تناسق الكلمات في الجمال ،

و يكون بإحساس الأذن و النفس بتناغم الصوت الحاصل من قراءة الآيات .

و قد بيّن الدكتور تمام حسان الإيقاع من خلال شرحه للمقاطع اللغوية و النبر فقال بأن : الإيقاع

إما إيقاع في نطاق التوازن ، و إما في نطاق الموزون ، و الوزن في العربية ، إنما يكون للشعر و الذي

في القرآن متوازن لا موزون ¹ .

و للإيقاع بالغ الأثر في تحسين الكلام و تجويده ، و إيضاح المعنى و إيصاله و لذا نجد أن العرب قديما

اهتموا بالأصوات فكانوا : "إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف و الواو و الياء ، و ما ينون و ما لا

ينون ² .

ورد في القرآن الكريم ختم الفواصل بحروف المد و اللين و إلحاق النون ، وفق طبيعة الإيقاع في

القرآن الكريم .

• ورود النون بعد حرف المد :

وردت الألف مقترنة بالنون بشكل كبير في فواصل سورة الرحمن على نوعان :

النوع الأوّل : ورودهما متتالين ، وهما من أصل الكلمات أي جزء لا يتجزأ منها كما جاء

¹ تمام حسان " البيان في روائع القرآن دراسة أسلوبية للنص القرآني " 1413هـ / 1993م.

² سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر " الكتاب " تحقيق إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ،

1991 ، ص 575 .

في قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَحْسَبَانِ ﴿٥﴾" ¹.

النوع الثاني: ورودهما (الألف و النون) متتاليين و لكن ملحقين بالكلمات ، وليس

من أصلهما علامة على الرفع و دلالة على التثنية كما في قوله تعالى: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾" ² و في كلا الموضعين يمد

الصوت فيتحقق الترميم .

● ورود الياء مقترنة بالنون :

وردت الياء مقترنة بالنون في مواضع عديدة من الفواصل القرآنية و من ذلك قوله عزّ

وجلّ مخاطبا نوح عليه السلام: " فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءآخِرِينَ ﴿٣١﴾" ³.

● ورود الواو مقترنة بالنون :

وردت الواو مقترنة بالنون في عدّة مواضع من الآيات القرآنية و مثال ذلك قوله عزّ

¹ سورة الرحمن ، الآية : 05/1 .

² سورة الرحمن ، الآية : 19-21 .

³ سورة المؤمنون ، الآية : 28-31 .

و جلّ: " إِنَّ هَتُوْلَاءِ لَشِرْذِمَةً قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾".¹

و يكون تحقيق التناغم و الإيقاع في الفواصل من خلال :

1 اختتامها بحروف المد و اللين ، و إلحاق النون و لعل الحكمة من ذلك وجود التمكن من التطريب بذلك .

2 حروف الفواصل تكون إما متماثلة أو متقاربة .

و المتماثلة هي كقوله تعالى : " وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ

الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾".²

أو متقاربة³ كقوله تعالى : " الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿١﴾ مَلِكِ یَوْمِ الدِّیْنِ ﴿٢﴾".⁴

للقرآن الكريم مسحة جمالية عجيبة تتجلى في نظامه اللغوي و الصوتي ، باتساق ألفاظه و فواصله

و انسجامها في الحركة و السكون و المد اثلافا خاصا به يجذب النفوس و يرقق القلوب .

¹ سورة الشعراء ، الآية 54-57.

² سورة الطور ، الآية : 1-2-3-4 .

³ كمال الدين عبد الغني المرسي " فواصل الآيات القرآنية " ص 82 .

⁴ سورة الفاتحة ، الآية : 3-4 .

خصائص الأسلوب القرآني :

يمتاز القرآن الكريم بعدة خصائص تميّزه عن سائر الأساليب ، وتظهر التفاوت العميق الذي

يتجلى به الأسلوب القرآني و أذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر :

✓ الخاصية الأولى :

أسلوب القرآن يجري على نسق خارج عن المؤلف من كلام العرب ، و ذلك أنّ الكلام إما أن يكون شعراً أو نثراً ، ولكل خاصية تميّزه عن الآخر ، إذ الشعر أوزان و عروض محددة يجب الالتزام بها و للنظم هو الآخر طرائق من السجع و الإرسال و هي جليّة وواضحة .

غير أن القرآن الكريم لا هو بشعر و لا بنثر ، فهو لا يلتزم بالقوانين المعروفة في هذا أو ذاك ، فالكفار كانوا قد عرضوه على أوزان الشعر ، و وجدوا أنه غير خاضع لأحكامه ، و قارنوه بفنون النثر و كان كذلك غير ذلك النثر المعهود ، فانتهوا _ بعد حيرة _ إلى القول أنه سحر .¹

و أكبر دليل على هذا ، عتبة بن ربيعة وهو من كفار قريش و الذي عرف بلاغته و حسه البياني

أنه لما سمع قوله تعالى من سورة فصلت " **حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ**

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ

حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَمِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ

فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝"².

¹ شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا و تطبيقيا " الشروق ، الأردن ، دط ، 2006 م ، ص 65 .

² سورة فصلت الآية من 1-6 .

فكان منه أن وقف في حيرة و ذهول بعد أن استولت على مشاعره و أحاسيسه فقال : " و الله لقد سمعت من محمدا قولاً ما سمعت مثله قط ، و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالكهانة ... و الله ليكون لقوله الذي سمعته نبأ عظيم " .¹

و من الأمثلة الدالة على هذا النظم العجيب قوله تعالى : " وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَدَهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ " .²

تكشف هذه الآيات عن الصياغة العجيبة ، من حيث تألف كلماتها في صورة تحرك الوجدان والعواطف و تميز المشاعر و الأحاسيس ، و في هذا يقول الرافعي في كتابه إعجاز القرآن " و ذلك أمرٌ متحققٌ في القرآن يقرأ الإنسان طائفة من آياته ، فلا يلبث أن يعرف لها صفة من الحس ترادف ما بعدها و تمده و لا تزال هذه الصفة في لسانه ، و لو استوعب القرآن كله ، حتى لا يرى آية قد أدخلت الضيم على أختها ، أو أنكرت منها ، أو أبرزتها عن ظل هي فيه أو دفعتها عن ما هي إليه ، و لا يرى ذلك إلا سواء و غاية في الروح و النظم و الصفة الحسية ، و لا يغتمض في هذا إلا كاذب على دخله و نية ، و لا يهجن منه إلا أحقق عن جهل و غرارة ، و لا يمتري فيه إلا عامي أو أعجمي ، و كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون " .¹

¹ شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم " ص 66 .

² سورة الشمس ، الآية من 1-6 .

و يعني بقوله هذا أن التآلف و حسن النظم بين الكلمات و الألفاظ و التناسب بين آيات السور ،
و بين السور و ما بعدها هو أمر جلي واضح و ضوح الشمس لمن له حس بلاغي ، و يملك ناصية
البيان ، و أنه لا يهجن من القرآن الكريم إلاّ الأحمق الكاذب ، أو الذي لا يفقه في العربية شيئا نحو
الأعجمي الأمي و العامي .

✓ الخاصية الثانية :

من خصائص الأسلوب القرآني أنه مهما تعددت و اختلفت مواضعه، فإنه يظل على
مستوى واحد في البيان، سواء أكان ذلك من حيث جمال اللفظة، أم في عمق المعنى و دقة
الصياغة، و روعة التعبير.

و ليس أدل على ذلك من الواقع ، إذ نجد أن أكثر الميادين الفكرية التي يتسابق في الكتابة فيها
أرباب الفصاحة و البيان ، هي مجالات الفخر و الحماسة و الموعظة و المدح و الهجاء ، إذ يكون
فيها المعنى المراد عرضه أكثر عموما ، غنيا بالأمثلة و الخصائص ما يجعل التعبير عنه أسهل ، بحيث
يكون تدفق و تدافع للألفاظ ، و العكس سيكون في ميادين الفلسفة و التشريع و مختلف العلوم ،
فقلما تجد الشعر يقتحم هذه النواحي لأنه كلما ضاق المعنى و تحدد ، كان التعبير عنه أشق
و كانت الألفاظ حوله أقل.¹

و يذكر محمد رمضان البوطي في كتابه روائع القرآن أنه مهما رأيت بليغا حذقا بأساليب البلاغة

¹ شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم " ص 67 .

و البيان ، فلا يمكن له التصرف بين مختلف الموضوعات و المعاني على مستوى واحد من البيان الرفيع الذي يملكه بل يختلف باختلاف الموضوعات التي يتطرق لها ، و هذا ما لا نجده في القرآن الكريم .

ففي القرآن و أنت تقرأ آيات في الوصف إذ بك تنتقل إلى آيات أخرى في القصص ، و تجد بعدها آيات في التشريع و أحكام الحلال و الحرام ويكون لذلك كله وقع خاص و صياغة و تركيب عجيب من الإشراق و البيان .¹

فأسلوب القرآن لا تجد له إلا صورة واحدة و هي صورة الكمال ، وإن اختلفت أجزاءه و ألوان التصوير فيه و أغراض الكلام ، و من أجل هذا كله عجز أساطين البلاغة و البيان أن يأتوا بمثله ، ولو بآية .

✓ الخاصية الثالثة :

تتمثل في معانيه التي صيغت من أجل أن يخاطب بها الجميع على اختلاف ثقافتهم ومداركهم ، و تباعد أزمئتهم و أمكنتهم ، يفهمها العامي و البسيط و العالم ، و يكون الاختلاف في التفاوت في مدى الفهم .

و مثال ذلك قوله عزّ و جل " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا

مُنِيرًا " .¹

¹ محمد سعيد رمضان البوطي " من روائع القرآن " مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1420هـ / 1999م ، ص 113 ، 114 .

تصف هذه الآية الشمس و القمر ، وهي تحمل بين طياتها معنيين ، معنى سطحي قريب يفهمه عامة الناس ، و معنى عميق يصل إليه المتأملون و العلماء ، و الباحثون و المتخصصون. فالعامي يفهم أنّ كلا الشمس و القمر يبعثان الضياء إلى الأرض ، وهو معنى صحيح تدل عليه الآية ، أما المتأمل من علماء العربية يفهم من وراء هذه الآية أنّ الشمس تجمع إلى النور الحرارة ، و لذلك سماها سراجا و القمر يبعث ضياء لا حرارة فيه .²

✓ الخاصية الرابعة :

تتمثل في ظاهرة التكرار و هو نوعان :

- (1) تكرار بعض الألفاظ و الجمل .
- (2) تكرار بعض المعاني كالقصص و الأخبار .

أما النوع الأوّل فيأتي على وجه التأكيد ، وينطوي على نكت بلاغية كالتحويل

و الإنذار، والتجسيم و التصوير، ويكون للتكرار هنا بالغ الأثر من خلال تحقيق هذه الأغراض البلاغية في الكلام.³

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى : " الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ

ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ " .¹

¹ سورة الفرقان ، الآية : 61 .

² شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم " ص 69 .

³ المرجع نفسه ، ص 69 .

وقوله تعالى: " وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَعِدَّا كُنَّا تَرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ^ط أُولَئِكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ^ط وَأُولَئِكَ الْأَعْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ^ط وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ^ط هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٣٠﴾²

أما النوع الثاني فيكون لتحقيق هدفين :

الأول إيصال معاني الوعد و الوعيد إلى النفوس بطريقة مألوفة ، عن طريق تكرار هذه الحقائق في

صور و أشكال متنوعة و متعددة من الأسلوب ، و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الهدف في قوله

تعالى : " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ هُمْ

ذِكْرًا ﴿١٣١﴾³

و الثاني : يكون بإخراج معنى واحد بأنماط مختلفة في التعبير بأساليب عديدة ، وهو ما يبرز حقيقة

الإعجاز ، و كيف أنه لا يستطيع أي أحد الإتيان بمثله و لو كان أبلغ العرب وأفصحهم .⁴

✓ الخاصية الخامسة:

و هي خاصية اختلافه عن جميع المؤلفات، و التي نجد فيها التبويب و التنسيق على حسب

المواضيع بينما نجد القرآن الكريم غالبية مواضيعه و أبحاثه لاحقة بعضها البعض، وقد تكون

¹ سورة الحاقة ، الآية من 1-4 .

² سورة الرعد ، الآية 05 .

³ سورة طه ، الآية : 113 .

⁴ شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم " ص 70 .

متداخلة مع بعضها البعض في الكثير من الآيات و السور، و هي مظهر من مظاهر إعجازه ، من خلال تفرده عن كل ما هو مألوف و معروف من طرق للبحث و التأليف.¹

ثالثا : التصوير الفني في القرآن الكريم :

التصوير الفني المعتمد على الحقيقة :

¹ المرجع السابق، ص 71 .

يعدّ القرآن الكريم واحة غناء للتصوير الفني، إذ هو الأداة المفضلة لأسلوبه الفريد ، تجد فيه الاستعارة الساحرة و التشبيه الخلاب ، و الكناية المبهرة ، و المجاز المدهش ، وترى قمة الإبداع في التصوير يقول سيّد قطب : " إذ لهذا الكتاب العظيم خصائص مشتركة ، وطريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض ، سواء أكان الغرض تبشيرا ، أم تحذيرا قصة وقعت أو حادثا سيقع ، منطلقا للإقناع ، أو دعوة إلى الإيمان ، وصفا للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى ، تمثيلا لمحسوس أو ملموس إبرازا لظاهر أو لمضمّر ، بيانا لخاطر في الضمير ، أو لمشهد منظور ."¹

و هذا ما يعني أنّ للقرآن الكريم سمات متفردة و خصائص مميّزة له في التعبير عن جميع الأغراض. و القارئ للقرآن يرى المشاهد أمامه ممثلة، ويسمع من خلالها الأصوات و يتابع الحركات و السكنات ، بتفاعل لا نظير له حتى أنّه وهو يتنقل بين هاته الآيات ينسى أنّ هذا الكلام يتلى حيث يتخيّل أنّه مشهد يعرض أمامه أشخاص وهم الممثلون كما له زمان و مكان .

" فأما الحوادث و المشاهد و القصص ، و المناظر فيردها شاخصة حاضرة ، فيها الحياة و فيها الحركة ، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة ، و حتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأوّل الذي وقعت فيه أو ستقع حيث ستتوالى المناظر ، و تتجدد الحركات ، ونسى المستمع ، أنّ هذا كلامٌ يتلى ، و مثلٌ يُضرب

¹ سيد قطب " التصوير الفني في القرآن الكريم " ص 35 .

و يتخيّلُ أنه منظرٌ يُعرض ، و حادثٌ يقعُ . فهذه شخوصٌ تروح على المسرح و تغدوا ، و هذه سمات الانفعال بشقّ الوجدانات المنبعثة من الموقف ، المتساوقة مع الحوادث " ¹.

للتصوير الفني في القرآن أبعاداً مترامية الأطراف تسعى لتحقيق عدّة أمور ومنها : اللفظ و الجملة والفاصلة إذ " التصوير ملمحٌ أساسي في النص القرآني يتضافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي، و الجملة بتراكيبها المتنوعة، و بنغماتها الداخلية، و الفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام و هذه المنظومة لجماليات التصوير تتوالى في سياق دلالي فتعطي للمعنى عمقا ، وللهدف الديني نفاذا إلى أعماق النفس البشرية فتَهزّها هزّاً " ².

و من مظاهر الجمال في التصوير الفني " الشمولية " تجدها في القرآن الكريم في جوانب كثيرة

تتألفُ جميعاً، مما يحقق جمال التعبير الذي نرى من خلاله تناسقا في المعنى ، و تناغما في النسق .

و من أمثلة الصورة الفنية في القرآن الكريم نذكرُ مشهدا من قصة سيّدنا إبراهيم عليه السلام و هو

يبني الكعبة مع ابنه إسماعيل في مشهد حيّ و كأننا نشهدُ مسرح و هما بينان ، لا قبل اليوم .

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

¹ سيد قطب "التصوير الفني في القرآن " ص 36 .

² محمد قطب عبد العال " من جماليات التصوير الفني في القرآن الكريم " الشركة السعودية للتوزيع ، الرياض ، السعودية ،

1415هـ ، ص 07 .

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ " 1

وهنا انتهى الدعاء ، وانتهى معه المشهد و أسدل الستار ، ولعل أجمل ما نلاحظه في هذه الصورة ،

ذلك الانتقال من الخبر إلى الدعاء في حركة عجيبة أحييت المشهد و جعلته حاضرا فالخبر هو في

قوله تعالى : " و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل " و بعدها مباشرة يرفع الستار ليرى

المشهد : البيت ، إبراهيم و إسماعيل ، يدعوان في هذا الدعاء . 2 فحقا هذا ما ينم على أن للصورة

القرآنية حياة.

و سر الحركة في هذا النص راجع لحذف كلمة واحدة و هي : و إذ يرفع إبراهيم القواعد من

البيت و إسماعيل يقولوا : ربنا ... وهذا هو الإعجاز .

1 سورة البقرة ، الآية 127/129 .

2 سيد قطب " التصوير الفني في القرآن الكريم " ص 57 .

التصوير البياني المعتمد على الخيال :

تظهر ألوان البيان بكافة أنواعها في القرآن الكريم و هي :

1) الاستعارة :

هي أحد أبواب علم البيان ، ولقد وردت لها تعريفات متعددة ، وهي في اللغة مشتقة من

الفعل (عور) يقال : استعار ثوبا ، فأعاره إياه ، ومنها قولهم (كبرُ مستعار) و قد قيل مستعار

بمعنى متعاور ، أو متداول .¹

أما اصطلاحاً فيورد ابن رشيق أنها : " أفضل المجاز ، و أول أبواب البديع ، و ليس في حلّى الشعر

أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام ، إذا وقعت موقعها و نزلت موضعها " .²

و يرى أبو هلال العسكري أنّ المقصود من الاستعارة " نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل

اللغة إلى غيره لغرض " .³

أما السكاكي فيعرفها بقوله : هو أن تذكر أحد طرفي التشبيه ، و تريد به الطرف الآخر ، مدعياً

دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به⁴

¹ إسماعيل بن حماد الجوهري " الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية " تحقيق أحمد عبد الرؤوف عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1987م ، مادة " عور " .

² الحسن بن رشيق القيرواني " العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده " 268/1 .

³ أبو هلال العسكري " الصناعتين " ص 259 .

⁴ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي " مفتاح العلوم " ضبط و تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ، ص 369 .

و يكاد يتفق علماء البلاغة المتأخرين على أنها : استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة ، و المعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي .¹

و لقد درس الكثير من لبلاغيين الأصول التي يجب مراعاتها لحسن الاستعارة " و واضحٌ أن تقنين حسن الاستعارة أمرٌ من الصعب تحديده تحديدا مستوفيا ، لأن المسائل الجمالية لا تعطي مقادتها عطاء مطلقا للقواعد و القوانين ."²

ويرى ابن رشيق : " أنهم يستحسنون الاستعارة القريبة ، وعلى ذلك مضى جلة العلماء ، و به أتت النصوص عنهم ، و إذا استعير للشيء ما يقرب منه و يليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ."³

أمّا الرماني فيرى أن " كل استعارة حسنة فهي توجب بيان لا تنوب منابه الحقيقة ، وذلك أنه لو كانت تنوب منابه الحقيقة لكانت أولى به ، و لم تجز الاستعارة ."⁴

وفي القرآن الكريم الكثير من الاستعارات ؛ التي تعدّ أحد أسباب إعجازه ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى : "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۗ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ

¹ محمد ابو موسى " التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان " مكتبة وهبية ، مصر ، القاهرة ، ط3 ، 1413هـ / 1993م ، ص 215 .

² المرجع نفسه ، ص 404 .

³ ابن رشيق " العمدة " ص 269 .

⁴ الرماني علي بن عيسى " النكت في إعجاز القرآن " ص 86 .

هُم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾¹ .

وقوله تعالى : " إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ "²

و الاستعارة أنواع عديدة هناك الاستعارة المكنية ، و الاستعارة التصريحية ، و الاستعارة التبعية ،
الاستعارة التهكمية و الاستعارة التمثيلية .

و الاستعارة المكنية هي : أن تذكر المشبه و تريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة

تنصبها ، وهي أن تنسب إليه و تضيف شيئا من لوازم المشبه به المساوية "³.

و هي كثيرة في القرآن الكريم نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى في سورة مريم : " قَالَ رَبِّ

إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤١﴾ "⁴.

وقوله أيضا : " وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ "⁵.

يعدّ هذا التعبير كناية عن الرفق في معاملة الوالدين ، وأخذهما باللين ، و الرقة كقولك (واخفض

لهما الجناح ذلاً) للصلة التي بينهما ، بين جانب الإنسان و بين الذل ، لما في الجانب من مظهر

¹ سورة الأعراف ، الآية : 154 .

² سورة الحاقة ، الآية : 11 .

³ السكاكي " مفتاح العلوم " ص 378 .

⁴ سورة مريم ، الآية : 04 .

⁵ سورة الإسراء ، الآية : 64 .

للغطسة حين شموخ المرء بأنفه ، و مظهر التواضع حين الخفض . و أضيف الجناح للذل للدلالة

على معنى الملكية ، ومكن الجمال في هذه الاستعارة هو انتقاء لفظة الجناح في هذا الموضع

و الذي يوحي بما ينبغي على الولد ، أن يُظَلَّ أبويه ويرعاهما كما يظلّ الطائر فراخه و يرعاهم.¹

ومن ضروب الاستعارة في علم البيان الاستعارة التصريحية ، وهي ما حذف فيها المشبه ،

و استعير عليه بالمشبه به ، وقد تكون أصلية أو تبعية .

وتكون الاستعارة أصلية إذا استعير المشبه به للمشبه ، دون أن تتوسط لفظة أخرى لإجراء هذه

الاستعارة ، وفيها يكون اللفظ المستعار اسما جامدا .

أما إذا كان اللفظ المستعار من الأفعال ماضيا أو مضارعا أو أمرا ، أو من المشتقات منها أو من

الحروف تكون الاستعارة تبعية ، وبهذا تنقسم الاستعارة التصريحية بحسب اللفظ المستعار إلى أصلية

و تبعية .²

ومن أمثلة الاستعارة الأصلية في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان سيّدنا لوط عليه السلام :

" قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨﴾ " .³

و المعنى المراد هو : لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم ، أو لقويت عليكم بنفسي ، وجواب لو هنا

محذوف ، وأصل الأركان يكون في البنيان ، فشبّه المعين الشديد بالركن في القوة و المتانة ثم استعير

¹ أحمد أحمد بدوي " من بلاغة القرآن " ص 170 .

² عبد الفتاح لاشين " البيان في ضوء أساليب القرآن " ص 165/164 .

³ سورة هود ، الآية : 80 .

المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

و منه قوله تعالى " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ

الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ " ¹.

اللفظ المستعار في هذه الآية هو الشوكة، ليكون التعبيرُ أبلغ، إذ المقصود هنا السلاح، فذكر

الطرف الذي يقَعُ به المخافة، و إن كان السلاح يشمل الحد و ما ليس حد. ²

أما الاستعارة التبعية فهي كقوله تعالى: " أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ

فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ³ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ " ³.

شبه الضال بالميت فحقيقة الكلام (أمن كان ضالا فهديناه) غير أن الأسلوب القرآني عدل عن

لفظة (ضال) و أتى بلفظة (ميت) في مكانه ، حتى يصبح المعنى أقوى تأثيرا و أبلغ بيانا ، كما

عدل عن لفظ (هديناه) و أتى بلفظ (أحييناه) وفيه نقلٌ للمعنى العقلي إلى صورة حسية معبرة عن

ذلك المعنى الذهني من خلال الابتعاد عن التعبير المجرد إلى الرسم المصور. ⁴

¹ سورة الأنفال ، الآية : 07 .

² عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 166 .

³ سورة الأنعام ، الآية 122 .

⁴ عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 167 .

و كقوله تعالى : " بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا

تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ " .¹

المستعار في هذه الآية لفظة (القذف) و لفظة (الدمغ) لأن حقيقة القول ، بل نأتي و نورد الحق على الباطل فيذهب ، و لكن التعبير بالاستعارة أبلغ إذ القذف يحتوي بين ثناياه على القهر ، لأن قولك قذف به إليك : هو الإلقاء على جهة الإكراه ، و كذلك الحق يلقي على الباطل فيزيله .

ولفظة يدمغه هنا أقوى و أفصح وأبلغ من لفظة يزيله و يذهب و لذا وردت في هذا الموضع ، كما أن كلمة " القذف " توحى بتلك القوة التي يهبط بها الحق على الباطل ، و كلمة " يدمغه " أتت للدلالة على تلك المعركة الناشئة بين الحق و الباطل حتى تصيبه ، فتحطمه و تردي به قتيلا .²

و من أنواع الاستعارة أيضا " الاستعارة التهكمية " و هي : استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائصها في الذم و الإهانة .

و قد عرفها السكاكي في كتابه " مفتاح العلوم " أنها: " استعارة اسم أحد الضدين ، أو النقيضين للآخر ، بواسطة انتزاع شبه التضاد و إلحاقه بشبه التناسب ، بطريق التهكم ، أو التلميح ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر ، و الإفراد بالذكر ، و نصب القرينة ."³

أمّا السيوطي فيرى أنّها ضرب من الاستعارة العنادية يقول :

¹ سورة الأنبياء ، الآية 18 .

² أحمد أحمد بدوي " من بلاغة القرآن " ص 218 .

³ السكاكي " مفتاح العلوم " ص 375 .

" و من العنادية التهكمية ، و التلميحية ، و هما ما استعمل في ضدّ أو نقيض أو نحو ذلك ،

و حاصل الاستعارة التهكمية ، أن تستعمل الألفاظ الدالة على المدح في نقائصها في الذمّ

و الإهانة تمكّما بالمخاطب ، و إنزالاً لقدره ، و خطأ منه .¹

و من أمثلة الاستعارة التهكمية في القرآن الكريم قوله تعالى " وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ"².

فالبشارة هي لفظ يطلق للأخبار السارة ، غير أنّها استعيرت هنا للإنذار ، بالخبر السيئ " فتزل

التضاد مترلة التناسب و شبه الإنذار بالتبشير بجامع السرور في كل - تحقيقاً في التبشير و تزيلاً في

الإنذار - استعارة تبعية تمكّمية "³.

فوردت كلمة " بشرّ " للاستخفاف بعقول الكفار ، و ما هم فيه من سفاهة .

و من أمثلته أيضاً قوله تعالى : " قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ

أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا^ط إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٤٧﴾"⁴.

في هذه الآية الكريمة صوّر الله تعالى استهانة قوم شعيب له و استهزائهم منه بهذا الأسلوب

التهكمي الساخر ، فاستعير بلفظة الحلم و الرشد ، للدلالة على السفه و الغي ، وذلك لأنّ القصد

¹ السيوطي " الإتقان في علوم القرآن " 140/3 .

² سورة التوبة ، الآية : 03 .

³ عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 179 .

⁴ سورة هود ، الآية : 87 .

من آل شعيب الاستهزاء و السخرية به .¹

و من ضروب الاستعارة أيضا المرشحة و المجردة و المطلقة : تقوم هذه الاستعارة على تناسي

التشبيه و الادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به .

و المرشحة : هي ما قرنت بما يلائم المستعار منه " المشبه به " زائدا عن القرينة و هي كقوله تعالى

: " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ " .²

(لباس الجوع و الخوف) شبه أثر الجوع و الخوف ، وضررها المحيط بأهل القرية من نحافة

و اصفرار و ضعف باللباس ، وذلك بجامع الإحاطة في الكل و القرينة الدالة إضافة اللباس للجوع

و الخوف .

و المراد بقوله " فأذاقها " أي فأصابها و ابتلاها بآلام الجوع و الخوف فجاءت الاستعارة ملائمة

للمستعار له ، لأنّ الذوق هنا أبلغ في التعبير ، وذلك لأنه يستلزم الإدراك باللمس .³

أما المجردة فسميت كذلك لتجريدها عما يقويها لأن ذكر المشبه مبعده، لدعوى اتحاد المشبه

مع المشبه به ، و مضعف لتناسي التشبيه ، و لهذا يخلو من المبالغة .⁴

و يرى شوقي ضيف في كتابه " البلاغة تطور و تاريخ " أن واضع التسمية للاستعارة التجريدية

¹ عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 180 .

² سورة النحل ، الآية : 112 .

³ عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 183-184 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 184 .

هو فخر الدين الرازي ، ليس من قبيل الإيقان ، وإنما هو يشك في ذلك .¹ حيث أنه ساق قوله مسبقا بلفظة ربّما .

أما المطلقة فهي التي لم تقترن بما يلائم المشبه أو المشبه به ، وهي كقوله تعالى : " وَمَا يُضِلُّ بِهِ "

إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٧﴾".²

استعير العهد للحبل ، وحذف المشبه به و رمز إليه بالنقض ، و لم تقرن الاستعارة بما يلائم المشبه

أو المشبه به ، فهي استعارة مطلقة ، وسميت كذلك كونها أطلقت عما يقويها و عما يضعفها .

ومن أنواع الاستعارة: الاستعارة التمثيلية و التي يقصد بها : " اللفظ المركب المستعمل فيما شبه

بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه أي : تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو

أمر بالآخرى ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير

بوجه من الوجوه".³

و عرفها محمد رمضان صاحب كتاب البلاغة التطبيقية بأنها: " اللفظ المركب المستعمل في غير ما

وضع له لعلاقة المشابهة، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي".⁴

¹ شوقي ضيف " البلاغة تطور و تاريخ " ص 281 .

² سورة البقرة ، الآية : 26-27 .

³ القزويني " الإيضاح " ص 438 .

⁴ محمد رمضان الجربي " البلاغة التطبيقية " ص 265 .

و من الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم قوله عزّ و جلّ: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" ¹.

تحتوي هذه الآية على تمثيلان : الأول شبه الأرض و التي هي تحت تصرفه بالشيء الذي يكون في قبضة المسك به ، فهو متمكن منه يتصرف فيه كيف يشاء ، ثم حذف المشبه و استعار له بالمشبه به ، أما الثاني فشبه السموات وهي تحت تصرفه ، بالشيء المطوي في يمين أحد فيطويه ، وينشره كيف يشاء ، و ذكر اليمين لأنها أشرف اليدين و أقواهما ، و حذف المشبه و من ثم استعار له بالمشبه به . ²

¹ سورة الزمر ، الآية : 67 .

² عبد الفتاح لاشين " البيان في أساليب القرآن " ص 186-187 .

ثانيا : مجاز المرسل و مجاز العقلي:

-المجاز المرسل:

هو من ألوان البيان في البلاغة العربية و هو: "نوع من المجاز اللغوي، و علاقته غير المتشابهة،

بمعنى أن له عدة علاقات باعتبارات مختلفة، و لهذا سمي مرسلا لأنه أرسل، و أطلق من العلاقة

الواحدة"¹ بمعنى أنه مجاز لغوي علاقته ليست المتشابهة، و إنما له علاقات أخرى كالكلية و الجزئية.

و سمي مرسلا لأنه لم يقيد بعلاقة واحدة كما هو الشأن في الاستعارة، بل تتوارد عليه علاقات

كثيرة تتعدد العشر علاقات.²

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: " تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ

الْمَوْتِ ^ج وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ " .³

المجاز في قوله: "أصابعهم" فالمراد هنا الأنامل أي أطراف الأصابع، و ليس كامل الأصبع، و منه

فالعلاقة هي الكلية حيث أطلق الكل (الأصبع) على الجزء (أطراف الأصابع) و هو المراد.

¹ محمد رمضان الجري "البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان" منشورات جامعة ناصر، الجماهيرية العظمى، ط1،

1997 م، ص207.

² القرزيني "الايضاح" ص370.

³ سورة البقرة الآية 19.

و هناك العلاقة الجزئية و مثالها في القرآن الكريم قوله تعالى: "فتحرير رقبة"¹ و المجاز هنا في قوله رقبة، أطلق الجزء (رقبة) و أراد به الكل (العبد أو الأمة).

و في العلاقة الجزئية يشترط في الجزء أن تكون له زيادة اختصاص بالمعنى المراد، و قد تحققت هذه الخصوصية في "رقبة" لأن العبد كالمربوط من عنقه و هو في قبضة مالكه.²

و من المجاز المرسل ما علاقته "اعتبار ما كان" كقوله تعالى: "وَأَتُوا الَّتِي تَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ"³

أي اليتامى اعتبار ما كان قبل بلوغهم سن الرشاد، و هم الآن ليسوا باليتامى لأنهم بلغوا سن الرشاد.

و ممكن البلاغة في هذا المجاز حثُّ أوصياء اليتامى، بالمبادرة بدفع الأموال لمن كانوا أوصياء عليهم، فور بلوغهم سن الرشد، حتى لكأنهم سلموا لهم أموالهم و هم يتامى.⁴

علاقة اعتبار "ما سيكون" و هي كقوله عز وجل: "قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا"⁵

الخمر هنا لا يعصر، لأنه هو أصلاً معصور، غير أن المعنى المراد هو: أراي أعصر عنبا يصبح خمرا،

وهنا مجاز علاقته اعتبار ما سيكون، و الإعجاز البلاغي في هذا المجاز في الإسراع إلى التنفير من

¹ سورة المجادلة الآية 03. "و الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة"

² عبد العظيم المطعني "الموسوعة القرآنية المتخصصة" بلاغة القرآن ص 529.

³ سورة النساء الآية 02.

⁴ عبد العظيم المطعني "بلاغة القرآن" ص 350.

⁵ سورة يوسف الآية 36.

الخمر.¹

و من العلاقات أيضا "السببية" و هي كقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ

مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾"² ، إذ الماء هو سبب الرزق، فغيب السبب

و ذكر "الرزق" المسبب.

و هناك علاقة "الآلية": و تعد أيضا من علاقات المجاز المرسل و التي تستعمل في إيجاد

الحدث، و من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ

لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ "³.

المجاز هنا هو في لفظة "لسان" و التي أريد منها، اللغة أي لغة قومه و مكنن السبب في استعمال

اللسان مكان اللغة، هو أن اللسان هو آلة، فهو أداة اللغة، و منه العلاقة في هذا المجاز هي الآلية.⁴

و من العلاقات أيضا "المكانية" و هي علاقة المحل المكان حيث يطلق المكان و يراد به **الحالون** به

و من أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى:

¹ المرجع السابق ص 530.

² سورة غافر الآية 13.

³ سورة ابراهيم الآية 04.

⁴ عبد العظيم المطعني "بلاغة القرآن" ص 530.

" فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢١﴾ ¹، إذ السماء و الأرض ليستا

من العقلاء كي تبكي، و المعنى فما بكى عليهم أهل السماوات أي الملائكة و لا أهل الأرض أي

سكانها الناس والجنّ، و المجاز هنا في كلمتي "السماوات و الأرض" علاقته المكانية.

¹ سورة الدخان الآية 29.

-المجاز العقلي:

و المقصود بالمجاز العقلي:

"إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد

الحقيقي".¹

فالمجاز العقلي تكون معاني الألفاظ فيه مرادا منها المعاني الوضعية دون إدخال أي تغيير عليها.

و القرآن الكريم مليء بنماذج للمجاز العقلي و هو أنواع:

● المكانية: و هي من صور المجاز العقلي، يتم فيها إسناد الفعل أو فيما معناه إلى

المكان الذي حدث فيه الفعل و مثاله قوله تعالى: " وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٦٦﴾ وَقَالَ

الْإِنْسَانُ مَا هَآءَا ﴿٦٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٦٨﴾" ²

هنا مجازان عقليان، الأول هو في إسناد الإخراج إلى الأرض، بينما الفاعل الحقيقي هو الله، أما

الأرض فهي مكان الفعل، و ليست الفاعل و السبب في إعطاء الأرض صفة الفاعل و التي هي

الإخراج لأنها مكان الفعل، و عليه فالعلاقة هي المكانية.

و كذلك في إسناد الحديث إلى ضمير الأرض، و الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل، مجاز عقلي


¹ محمد علوان و نعمت علوان" من بلاغة القرآن" الدار العربية للنشر و التوزيع ، القاهرة، 1998 م ص 199.

² سورة الزلزلة الآية 2-3-4.

علاقته المكانية.¹

● الزمانية:

لكل فعل زمان يقع فيه و منه صح أن يسند الفعل لزمانه على سبيل المجاز العقلي ومن أمثلته في

القرآن الكريم قوله عز وجل: "فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا تَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا" ² 

أسند الفعل "يجعل" لضمير "يوما" على أنه فاعل الشيب في الأطفال الصغار "الولدان" و اليوم هو

زمان التشييب و ليس فاعله "يجعل" لأن الفاعل الحقيقي هو الله عز وجل و إنما اليوم هو ظرف

للتشييب.

● السببية:

يكون المجاز العقلي حاصلًا بإسناد الفعل إلى سببه، و هو وارد في القرآن الكريم و منه قوله

تعالى: "فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ" ³ أسند الإخراج إلى "الشیطان"

والذي يعد في الحقيقة سبب الإخراج و سبب الفاعل، فالعلاقة هي السببية لأن التقدير فأخرجهما

الله بسبب وسوسة الشيطان لهما، و إغرائهما بالأكل من الشجرة المحرمة عليهما.⁴

و لعلّ الفائدة من المجاز العقلي هي المبالغة في تصوير أثر الفاعل المجازي الذي أسند إليه الفعل،

¹ عبد العظيم المطعني "بلاغة القرآن" ص 5/5.

² سورة المزمل الآية 17.

³ سورة البقرة الآية 36.

⁴ عبد العظيم المطعني "بلاغة القرآن" ص 515.

بتحويله من كونه مكانا أو زمانا، أو حتى سببا للفعل إلى كونه فاعلا لهذا الفعل.

و صفوة القول فإن المجاز كثر من كنوز البلاغة، و المادة التي يستقي منها الشاعر المجيد، و الكاتب

البليغ والخطيب المفوّه، في الإبداع، و الاتساع في طرق البيان، و أن يأتي بالكلام مطبوعا قريبا من

الأفهام.¹

¹ عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 295.

ثالثاً: التشبيه:

هو أحد ألوان علم البيان في البلاغة العربية، و تناوله معظم علماء البلاغة، فدرسوا

تقسيماته و ضروبه، و القيم الجمالية له، مع إظهار مواطن الحسن و القبح فيه.

و إن كانت تعريفات التشبيه كثيرة و متعددة إلا أن جميعها تلتقي في نقطة واحدة، ألا و هي

مشاركة المشبه و المشبه به في صفة أو أكثر و من هذه التعريفات:

"التشبيه صفة الشيء بما قاربه و شاكلة من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛

لأنه لو ناسبه كلية لكان إياه"¹

و للتشبيه قيم جمالية لا يمكن لدارس البلاغة أن يغفلها، فهو باب من أبواب البلاغة أثنى عليه

النقاد قديماً و حديثاً و ذلك لما "له من أثر عظيم في بناء الصورة الأدبية، و رسم اللوحة الفنية

الرائعة المؤثرة في العواطف، و المشاعر الإنسانية، لأن التشبيه من الفنون التصويرية يضفي بهاء

و جلالاً على الأسلوب، و يمنحه الطرافة، و الجدة و يخلع عليه القوة و المتعة، و الحركة،

و النشاط".²

و يذكر القزويني القيمة الفنية للتشبيه بقوله: "فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، و فخامة

¹ القزويني "الإيضاح" ص 328.

² محمد رمضان "البلاغة التطبيقية" ص 126.

أمره في فن البلاغة، و أن تعقيب المعاني به -لاسيما قسم التمثيل منه- يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذماما أو افتخارا أو غير ذلك".¹

و لأهمية التشبيه و قيمته نجد القرآن الكريم يزخر به، و هو يهدف من خلال استخدامه إلى التصوير و التأثير معا، حتى تمثل الصورة البيانية أمام أعين القارئ و كأنها مرئية.

و الملاحظ في آي القرآن الكريم يجد أن التشبيهات فيه لم تقف عند تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء، بل تجاوزتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة و حركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، و تجسمت الحالة النفسية في مشهد.

كما أن جمال التشبيه القرآني يبرز ما فيه من إبداع في العرض، و جمال في التنسيق، و روعة في النظم و التأليف، و جرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها.²

و من أنواع التشبيه:

- التشبيه المقلوب:

تعارف الأدباء، و النقاد منذ القديم على التشبيه العادي و هو كتشبيه الخد بالورد، و العيون بالنرجس، و الشعر بالليل، و الشجاع بالأسد و غيرها، غير أن أرباب البلاغة و البيان تجاوزوه لرؤيتهم له بأنه أقل من أن يشبع رغباتهم فيما يتوخونه في أقوالهم، فاهتدوا إلى طرق القلب في

¹ القزويني "الإيضاح" ص 328-329.

² صلاح الدين عبد التواب "الصورة الأدبية في القرآن الكريم" ص 45.

التشبيه للوصول الى غايتهم.

و التشبيه المقلوب هو القلب بين طرفي التشبيه و هو أن يجعل المشبه به مشبها و المشبه مشبه به،

و ذلك لادعائه أن المشبه أقوى و أكمل و أبين في وجه الشبه من لمشبه به، على سبيل المبالغة.¹

و عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: "ما يجعل الفرع أصلا، و الأصل فرعا"²

و ابن الأثير يرى بأنه "أن يجعل المشبه به مشبها و المشبه مشبها به"³ و ذكر أن هذا الضرب

يسمى الطرد و العكس؛ قائلا: "من التشبيه ضربا يسمى الطرد و العكس، و هو أن يجعل المشبه

به مشبها و المشبه مشبها به، و بعضه يسميه غلبة الفروع على الأصول".⁴

و ابن الجني سماه "غلبة الفروع على الأصول"⁵

و قد ورد التشبيه المقلوب في عدة مواضع في القرآن الكريم منها: قوله عز وجل: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"¹ و هنا الحديث في هذا المقام

عن الربا وليس عن البيع فشبه البيع بالربا و الأصل الربا تشبه البيع.

¹ محمد رمضان الحربي "البلاغة التطبيقية" ص 115.

² عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص 187.

³ ابن الأثير "المتل السائر" 2 / 163.

⁴ المصدر نفسه 2 / 163.

⁵ ابن الجني "الخصائص" ص 268.

وقوله تعالى: " أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ " ² من خلال هذه الآية

يخاطب الله الكفار عباد الأصنام، الذين جعلوا غير الخالق بمرتلة الخالق في استحقاق العبادة، وكان

الأصل في الكلام، أفمن لا يخلق كمن يخلق، فقلب للدليل على مبالغتهم في عبادة الأوثان حتى

صارت أصلا و صار الخالق سبحانه و تعالى فرعا.

- التشبيه التمثيلي:

فرق عبد القاهر الجرجاني بين التمثيل و التشبيه و عرف التشبيه التمثيلي بقوله: " ما كان

وجه الشبه فيه عقليا و محتاج في تحصيله الى ضرب من التأويل " ³.

و بهذا فالجرجاني جعل التمثيل نوعا من أنواع التشبيه فقال: أن التشبيه عام و التمثيل أخص منه،

فكل تمثيل تشبيه، و ليس كل تشبيه تمثيلا " ⁴.

بينما جعل ابن الأثير التمثيل هو نفسه التشبيه، و عدهما أصلا واحدا و أنه لا يوجد فرق بينهما، ⁵

في حين جعل السكاكي للتشبيه التمثيلي شرطا حتى يكون كذلك و هو أن يكون فيه وجه الشبه

¹ سورة البقرة الآية 275.

² سورة النحل الآية 17.

³ عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص 76-78.

⁴ المصدر نفسه ص 75.

⁵ ابن الأثير "المثل السائر" 2 / 123.

عقليا غير حقيقي و أن يكون مركبا و إلا فليس من قبيل التشبيه التمثيلي.¹

و من أمثلة التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم قول الله عز وجل: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ

كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ

حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي نَحْرٍ لَّيْلِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ

فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ

لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٦٧﴾ ".²

المشبه: أعمال الكفار المزينة لهم، و التي هي في الحقيقة لا خير فيها.

و المشبه به يوجد اثنان، المشبه به الأول: هو السراب في الصحراء الذي يظنه الضمآن ماء، و لكنه ليس كذلك.

وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من الأمل و الطمع و النهاية اليائسة.

أما المشبه به الثاني فهو صورة الظلمات الكثيفة في بحر متلاطم الأمواج متداخل بعضه في بعض،

¹ السكاكي "مفتاح العلوم" ص 575.

² سورة النور الآية: 40/39 .

ووجه الشبه فيه هو صورة أشياء متراكمة ليس لها أي فائدة.¹

يبرز و النظم الإلهي حالة نفسية حركية تصور معانات سائر في صحراء قاحلة، أحس بالظماً و ظن أن الماء قريب و لكن يكتشف في النهاية أنه ليس هناك شيء "حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً". و عليه فإن كل تمثيل تشبيه و ليس العكس؛ إذ التمثيل مختص بما كان وجه الشبه منتزعا فيه من متعدد.

- التشبيه الضمني:

هو التشبيه الذي لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، فهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، و يفهمان من المعنى، و هذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن²

إذ لا يصرح فيه بأركان التشبيه، و لا يأت على الطريقة المألوفة، و إنما يكون دليلاً لإثبات أمر غريب يدعى حصوله. و يتجلى التشبيه الضمني في قوله عز وجل: "مثل الفريقين كالأعمى والأصم و البصير و السميع هل يستويان مثلاً" أفلا تذكرون³

¹ عبد الفتاح لاشين "البيان في أساليب القرآن" ص 55/54.

² السيد أحمد الهاشمي "جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع" المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ط 1، 1999، 242.

³ سورة هود الآية 24.

في هذا التشبيه صورة حسية تتجلى و تتجسد فيها حالة فريقين الأول كالأعمى لا يرى
و كالأصم لا يسمع، و هي بمثابة الأدوات الموصلة للقلب و العقل، ليدرك و يتدبر، فكأنما هو
محروم من تلك الحواس و الفريق الثاني يرى و يسمع فيهديه بصره و سمعه.¹

¹ سيد قطب "في ظلال القرآن" دار الشروق، القاهرة ، بيروت، طبعة 10، 1981 -12/1868.

الفصل الثاني : المصطلحات البلاغية في تفسير

الزمخشري .

*المميزات العلمية و الثقافية عند الزمخشري

–علم المعاني في الكشاف

–علم البيان في الكشاف

–علم البديع في الكشاف

المميزات العلمية و الثقافية عند الزمخشري:

لسنا بصدد الحديث عن حياة الزمخشري و نشأته، فهناك الكثير مما كتب عنه في هذا المجال. غير أنه استلزم علينا ذكر بعض النقاط بما فيها أهم المؤثرات العلمية و الثقافية و الفكرية التي تشكل منها فكره، و ما كان لها من أثر بالغ في توجيه حركة المنهج البلاغي في تفسيره "الكشاف عن حقائق الترتيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل". و سنحاول إلقاء الضوء على أهم المكونات العلمية و الثقافية التي شكلت الروافد التي أثرت في تكوينه العلمي.

نشأة الزمخشري:

الزمخشري: "بفتح الزاي و الميم و سكون الخاء المعجمة و فتح الشين المعجمة و في آخرها الراء، هذه النسبة إلى زمخشر. و هي قرية من قرى خوارزم، و من مشاهير هذه القرية أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري اللغوي، كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو".¹

ولد في رجب سنة سبع و ستين و أربعمائة للهجرة و توفي في السنة الثانية و الثلاثين و خمسمائة للهجرة، نشأ في خوارزم و لما بلغ سن الدراسة رحل إلى بخارى لطلب العلم، تتلمذ على يد محمود بن جرير الضبي الأصفهاني، و أبي مضر النحوي. و لقد تأثر الزمخشري بشخصية

¹ السمعاني "الأنساب"، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، مركز لخدمات و الأبحاث الثقافية، دار الجنان ط1 (1408 هـ-1988 م) ج 3 ص 163-164.

أستاذه الضبي، و اعتنق مبادئه الكلامية المؤمنة بالمذهب الاعتزالي، و عمل على نشرها، حتى أنه قيل أنه كان إذا قصد صاحباً له، و استأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن، قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب¹.

قال عنه ابن خلكان "كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال في فنونه، أخذ النحو عن أبي مضر منصور، و صنف التصانيف البديعية".
و من مؤلفاته نذكر:

- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل (و الذي سيكون محور دراستنا في هذا الفصل).
- الفائق في الحديث.
- أساس البلاغة في اللغة.
- ربيع الأبرار و نصوص الأخيار.
- متشابه أسامي.
- النصائح الكبار و النصائح الصغار.
- ضالة الناشد.
- الرائد في علم الفرائض.

¹ ابن خلكان "وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان" تحقيق إحسان عباس دار صادر، بيروت، لبنان، 1397 هـ-1977 م، 2/

- المفصل في النحو.
 - الأنموذج في النحو.
 - الفرد و المؤلف في النحو.
 - رؤوس المسائل في الفقه.
 - شرح أبيات سيبويه.
 - المستقصى في أمثال العرب.
 - صميم العربية.
 - شاطئ العيي من كلام الشافعي.
 - سائر الأمثال¹.
- و له أيضا:
- ديوان التمثل و شقائق النعمان.
 - القسطاس في العروض.
 - معجم الحدود و المناهج في الأصول.
 - مقدمة في الآداب.
 - الرسالة الناصحة.
 - الأمالي في كل وقت.

¹ ابن خلكان "وفيات الأعيان" 5 ص 168.

● وله ديوان رسائل، و ديوان شعر.¹

و هنا نلاحظ هذا التراث الضخم الذي خلفه الزمخشري و هذه المعرفة الواسعة و التي لا تقف عند حد من حدود العلم و المعرفة فهويسهم في كل باب بفضل.

✓ الزمخشري الأديب:

يعرف الزمخشري على أنه شاعر و ناثر مجيد، يغلب على شعره السجع الخالي من التكلف، على نحو قوله: "يا أبا القاسم إن خصال الخير كتفاح لبنان، كيفما قلبتها دعتك إلى نفسها، وإن خصال السوء كحسك (السعدان) أتى وجهتها نمتك عن مسها، فعليك بالخير إذا أردت الرفول في مطارف العز الأفعس، و إياك و الشر فإن صاحبه ملتف في أطمار الأذل الأفعس..."²

و من شعره نذكر أبيات في الغزل و التي يقول فيها:

مليح و لكن عنده كل جفوة و لم أر في الدنيا صفاء بلا حدر
و لم أنس إذ غازلته قرب روضة إلى جنب حوض فيه للماء منحصر
فقلت له جئني بورد و إنما أردت به ورد الحدود و ما شعر.³

¹ المرجع نفسه 5/ 168.

² الزمخشري "مقامات الزمخشري" دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1402 هـ/ 1982 م ص 16-17.

³ ابن عماد الحنبلي "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" دار احياء التراث العربي بيروت ، لبنان، د-ط-د ت، ج 3/ ص

✓ الزمخشري المفسر البلاغي:

إن أهم ما كتب الزمخشري من مؤلفاته في هذا المجال "الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". يقول في مقدمة كتابه: "الفقيه و إن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، و المتكلم وان بزّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، و حافظ القصص والأخبار و إن كان من (ابن القرية) أحفظ، و الواعظ و إن كان من الحسن البصري أوعظ، و النحوي و إن كان أنحى من سيبويه، و اللغوي و إن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى أحد منهم لسلك تلك الطرائق، و لا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد بلغ في علمين مختصين بالقرآن، و هما علم المعاني، و علم البيان."¹

و يعجب الزمخشري بكتابه فنجده يتغنى به قائلا:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافني

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء و الكشاف كالشافي.²

لقد علا الزمخشري بكشافه، و الذي يعد مثالا لنضوجه العلمي، إذ يبدو فيه رجلا هضم التفسير النقلي و وعى ما أثر فيه، كما روى الحديث و أتقنه، و أحاط خيرا بالمسائل الفقهية ودقيق

* جاء في لسان العرب اللحين بمعنى جانبا الفم، و لحيا الغدير جانبا، تشبيها.

¹ الزمخشري "الكشاف عن حقائق الترتيل و عيون الأقاويل في وجود التأويل"، ج 1 ص 15، 16.

² المرجع نفسه

الخلاف فيها، و أَلَمَّ بالقراءات و اطلع على مجموعة ضخمة من الشعر و النثر، و بيّن فيه
الزمخشري رجلا لغويا مقتدرا، و متكلمنا منطقيا جدلا، مرهف الحس لجمال النص

القرآني.¹

و يذكر ابن خلدون في مقدمته عن فن البيان قوله: "و أكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر
جار الله الزمخشري، و وضع كتابه في التفسير و تتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن... فانفرد بهذا
الفضل عن جميع التفاسير."²

¹ مصطفى الصاوي الجويني، منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان اعجازه، دار المعارف القاهرة، ط3، ص 79-80.

² ابن خلدون "المقدمة" 3 / 276.

أولاً : علم المعاني في الكشف :

لم يعرف أحد علم المعاني بتعريفه المتداول قبل السكاكي ¹ يقول: "اعلم أن علم

المعاني تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بها من الاستحسان، و غيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره".

و يعرف القزويني علم المعاني على أنه العلم الذي يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، و قد حصرها في ثمانية أبواب:

أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل

و الوصل، و الإطناب و المساواة.²

و لقد تناول الزمخشري أغلب هذه الأبواب في تفسيره "الكشاف" و أورد مصطلح "علم المعاني"

غير أنه استعمله مرة للدلالة على استخراج المعاني بفهم و نفاذ من النصوص، و من ذلك تفسيره

لقوله عز و جل " قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَاهِتِنَا يَتَابَرَاهِيمُ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ

هَذَا فَسَعَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٧﴾ ".³

¹ أحمد مطلوب "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها" مطبعة المجمع العلمي العراقي، د ط، (1403 هـ/ 1983 م) 3 /

276.

² القزويني "الإيضاح" ص 85.

³ سورة الأنبياء الآية 62-63.

يبين أن أسلوب الآية "التعريض" و أنه ضمن أساليب علم المعاني، و المعلوم أنه من أساليب علم

البيان لدى علماء البلاغة.¹

و قد درس الزمخشري الأساليب التالية في كشافه ضمن علم المعاني:

• التقديم و التأخير:

أدرك البلاغيون أهمية التقديم و التأخير، خاصة أنهم اهتموا بالمعنى و الدلالة، و يوضح ابن

الجنبي هذا قائلاً: فان العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها و تهذبها، و تراعيها، و تلاحظ أحكامها

بالشعر تارة، و بالخطب أخرى، و بالأسجاع تلتزمها، و تتكلف استمرارها، فان المعاني أقوى

عندها، و أكرم عليها، و أفخم قدرا في نفوسها".²

و أبرز من التفت إلى هذا الباب عبد القاهر الجرجاني يقول عن التقديم و التأخير أنه "باب كثير

الفوائد، جم المحاسن، واسع التصريف بعيد الغاية".³

و يذهب إلى أن التقديم ، يتمّ على وجهين:

التقديم على نية التأخير: و في هذا لا يتغير من الناحية الإعرابية، إذ هو المخبر عما بعده، والثاني

وهو عكس الأول و هو أن تقدم المتأخر بنقله من حكم إلى حكم و إعراب غير بإعرابه، فتتغير

¹الشارف لطروش: "المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف" دار أم الكتاب للنشر و التوزيع، 2010، ص

91.

² ابن الجنبي "الخصائص" ص 216.

³ الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 83.

الدلالة و تنتقل إلى معان قد لا تكون في حسابك.¹ و لقد تبع الزمخشري عبد القاهر الجرجاني في التمعن و التدقيق في هذا الجانب و من التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

○ التقديم و التأخير في الجملة الفعلية:

1 / تقديم الاسم عن الفعل في حالة الإثبات:

يتقدم المسند إليه في حالة الإثبات لغرض إفادة تقوية الحكم، من خلال ثبوت الفعل للفاعل و توكيده، و دفع الشك عنه، و منه قوله تعالى: " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِأَلْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ " (هم يعلمون) أنهم كاذبون.³ و هي هنا تأكيداً على علمهم بكذبهم، إلا أنهم يتمادون و يصرون عليه، فجاء هنا تقديم الضمير تأكيداً على غيهم و كذب دعواهم.

و منه قوله تعالى أيضاً: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا⁴، و فيها يرى الزمخشري أنك إن سألت لم أخرجت صلة الشهادة أولاً

¹ المصدر نفسه ص 83.

² سورة آل عمران الآية 78.

³ الزمخشري "الكشاف" 1 / 438.

⁴ سورة البقرة الآتي 143.

وقدمت آخرًا؟ كان ذلك: لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، و في الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم.¹

أي أن هذا القصر لشهادة الرسول عليهم رفعا لشأنهم، إذ فضلهم على سواهم في الأول بشهادتهم عليهم، و في الثانية فضلهم بأن جعل الرسول صلى الله عليه و سلم هو الشاهد.

2/ التقديم و التأخير بين الفعل و الإسم في الاستفهام:

أ - الاستفهام التقريري:

يكون فيه الاستفهام لتأكيد حصول الفعل من الفاعل، بإقراره عليه، و إلزامه به، لا

للسؤال أو الحاجة في النفس للإجابة.

و من أمثله قول الله عزّ وجلّ على لسان قوم سيدنا إبراهيم " قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآهِتِنَا

يَتَابِرَاهِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾. ² يقول

الزمخشري: "هذا من معاريض الكلام و لطائف هذا النوع، لا يتغلغل فيها إلا أذهان (الراضة) من

علماء المعاني، و القول فيه أن قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر

عنه إلى الصنم، و أنما قصد تقريره لنفسه و إثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من

إلزامهم الحجّة، و تبكيّتهم، و هذا كما لو قال لك صاحبك و قد كتب كتابا بخط رشيق، و أنت

¹ الزمخشري "الكشاف" 1 / 318

² سورة الأنبياء الآية 62 / 63

شهير بحسن الخط: أنت كتبت هذا ؟ و صاحبك أُمي لا يحسن الخط، ولا يقدر إلا على حرمشة فاسدة، فقلت له: بل كتبه أنت، كأنك قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك، و إثباته للأُمي أو المخرمش، لأن إثباته و الأمر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر".¹ فالاستفهام هنا أتى للتقرير و التأكيد، والإلزام.

ب - الاستفهام الإنكاري:

هو كالاستفهام الحقيقي و التقريري، يجب أن لا يلي فيه المنكر الهمزة، سواء كان فعلاً

، أم فاعلاً أم مفعولاً، أم غير ذلك.²

و منه قوله تعالى: " أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا^ج إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا

عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ". بمعنى أخصكم ربكم على وجه الخصوص و الصفاء بأفضل الأولاد و هم البنون و

لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، و اتخذ الأَدنى و هم البنات، و هذا خلاف الحكمة و ما عليه

عادتكم".³

¹ الزمخشري "الكشاف" 2 / 577.

² عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 91.

³ سورة الإسراء الآية 40.

و منه قوله تعالى "الله أذن لكم أم على الله تفترون" و في هذا إنكار تكذبي و في الفاعل لا الفعل ليكون الكلام أبلغ¹ أي أخبروني الله أذن لكم فيما تفعلونه أم أنكم تكذبون و تفترون بنسبته إليه.

ج- تقديم الاسم على الفعل عقب نفي:

إذ قدم الفاعل على الفعل، و كان الاسم المقدم أي المسند إليه واقعا عقب نفي، فهنا يفيد التركيب على قصر نفي الفعل على الاسم المقدم: و مثاله (ما أنا فعلت كذا) و الفعل هنا ثابت، و لا يختلف في كونه حاصل، بينما هو منفي عن المسند إليه المقدم، و مثبت لغيره، و ذلك

بأن الفعل موجود من أحدهم و لكن ليس مني.² و هذا ما كان قد قال به عبد القاهر الجرجاني حين قال كقولك:

"(ما أنا فعلت)، فأنت قد نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول.³

و مثاله قوله تعالى: "قَالُوا يَدُّعِيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيْرًا مِّمَّا تَقُوْلُ وَإِنَّا لَنَرِيْكَ فِينَا ضَعِيْفًا وَلَوْ لَا

رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيْزٍ ﴿٩١﴾"⁴ دلّ حرف النفي في قوله " وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا

بِعَزِيْزٍ "على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل، كأنه قيل: و ما أنت علينا بعزير بل رهطك

¹ الزمخشري "الكشاف" 2 / 450.

² السيد شيخون "أسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن الكريم" مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة، ط1- (1403هـ/

1983م) ص 33.

³ عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 96-97.

⁴ سورة هود الآية 91.


هم الأعزة علينا.¹ وفيه نفي لأن يكون الشخص عزيز، و لكن هناك أعزة آخريين موجودون عندهم.

○ التقديم و التأخير في الجملة الاسمية:

تتكون الجملة الاسمية من مبتدأ و خبر و هما متلازمان و أصل ترتيبهما لدى النحاة:

المبتدأ فالخبر، و قد يخرج المبتدأ عن أصله فيتقدم عن الخبر و يتأخر المبتدأ.

و مثاله قوله تعالى: " قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءِالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي

مَلِيًّا"  ² ففي هذه الآية تقديم للخبر راغب عن المبتدأ أنت للتركيز و تأكيد أهمية الصفة

المقدمة و التي هي الخبر.

و يعرض الزمخشري تفسيره لهذه الآية بقوله: " و قدم الخبر على المبتدأ في قوله: (أراغب أنت عن

ألهتي يا إبراهيم) لأنه كان أهم عنده و هو عنده أعنى و فيه ضرب من التعجب و الإنكار لرغبته

عن آلهته، و أن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد، و في هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله صلى

الله عليه وسلم عما كان يلقي من مثل ذلك من كفار قومه."³

¹ الزمخشري "الكشاف" 2 / 289.

² سورة مريم الآية 46.

³ الزمخشري "الكشاف" 2 / 511.

و قوله تعالى: "وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾" ¹.

يقول الزمخشري في صدد هذه الآية: "لا يخلو من أن يكون معطوفا على (كلمة) أو على الضمير

في (كان) لكان الأخذ العاجل و أجل مسمى لازمين لهم، كما كان لازمين لعاد و ثمود، و لم

ينفرد الأجل المسمى من دون الأخذ العاجل"²

فالأصل في هذه الآية لولا كلمة، وأجل مسمى لكان لزاما.

و على العموم فان التقديم و التأخير كثير و متعدد في القران الكريم و لا مجال لحصره في سطور

لأن هناك في القران الكريم ما قدم حملا على المعنى إما باعتبار الوجوب و التكليف أو باعتبار

السبق أو الكثرة أو حتى التعجب و الإعجاز و غيره، و هناك أيضا ما قدم في القران الكريم على

نية التأخير كقوله عز و جل: " فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ ۗ رُسُلُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ

﴿٤٧﴾" ³ قال الزمخشري: "هلا قيل: مخلف رسله وعده، و لم قدم المفعول الثاني على الأول؟ قلت:

قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا... ثم قال (رسله) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أيضا

وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته و صفوته؟" ⁴.

¹ سورة طه الآية 129.

² الزمخشري "الكشاف" 2 / 585-589.

³ سورة ابراهيم الآية 47.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 2 / 384.

و هكذا نلاحظ تمكن الزمخشري و إمامه، و إسهامه الكبير في تطبيق ما تركه عبد القاهر الجرجاني قبله.

● الحذف:

تناول علماء البلاغة سياقاً الكلام التي يرد فيها كاملاً أحياناً، أو محذوف

أحد الأطراف أحياناً أخرى، فقد يلزم المقام حذف أحد أطراف الإسناد، أو إبقائها، على حسب

الموروثات أولاً، و تجميلاً للسياق ثانياً، أو لاعتبارات أخرى غالباً ما تدخل ضمن هذه الاثني،

وقد قام عبد القاهر الجرجاني بالتأسيس لأسلوب الحذف على قاعدة تعتمد في بنائها على الحاجة

الفنية لإبرازها، و ذلك لأن النسق العام للأداء يحتاجه بإلحاح.¹

و رأى عبد القاهر الجرجاني و تابعيه أن ترك الذكر، أفصح من ذكره، و الصمت عن الإفادة أزيد

للفائدة، و تجددك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين.²

و قد بينه الزمخشري في الكثير من المواضع في تفسيره منها تفسيره لقوله تعالى: " مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

وَمَا قَلَىٰ ۖ" ³ و هناك حذف "الكاف" و التي هي الضمير من الفعل قلى.

¹ محمد عبد المطلب "البلاغة و الأسلوبية ص 313.

² عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 112.

³ سورة الضحى الآية 03.

وقوله تعالى: " وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ

دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ

كَبِيرٌ" ¹ يرى الزمخشري أن في ترك المفعول و عدم ذكره في قوله (يسقون) و(تذودان)

و(لا نسقي) طلب للفعل لا للمفعول، و دليله أنه رحمهما لأنهما كانتا على الذيادة و هم على

السقي، و لم يرحمهما، لأن مذودهما غنم و مسقيهم ابل، كذلك قولها: "لَا نَسْقِي

حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ" المقصود فيه السقي لا المسقي. ²

• الفصل و الوصل:

يرى الجاحظ أن معرفة الوصل و الفصل معرفة للبلاغة ³، و يعرفها عبد

القاهر الجرجاني على أنها "العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك

ما فيها و الجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، و مما لا يأتي تمام

الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، و الأقسام طبعوا على البلاغة... و اعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى

فائدة العطف في المفرد ثم في نعود إلى الجملة فننظر فيها و نتعرف حالها" ⁴، و هذا ما يعني أنه

¹ سورة القصص الآية 23.

² الزمخشري "الكشاف" 2 / 17.

³ "البيان و التبيين" ص 88

⁴ عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 176-171.

الإدراك لما يصنعه عطف الجمل على بعضها البعض، أو ترك العطف الذي هو من أسرار البلاغة أمر لا يتأتى فهمه إلا للأعراب الخالص، أو من جبل على البلاغة، و بين أن معرفة العطف هي السبيل لفهم الجمل و التعرف على حالها.

و قد عرف الزمخشري الوصل و الفصل حين فسر قوله تعالى: "وَشَدَدْنَا مُلْكَهُرُ وَاَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾¹ قائلا: "الفصل التمييز بين الشيئين، و قيل للكلام البين: فصل، بمعنى

المفصول، كضرب الأمير، لأنهم قالوا: "كلام ملتبس، و في كلامه لبس، و الملتبس: المختلط، فقيل في نقيضه: فصل أي مفصول بعضه من بعض، فمعنى فصل الخطاب البين من كلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه و من فصل الخطاب وملخصه: أن لا يخطئ صاحبه مظن

الفصل و الوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، و لا يتلو قوله: " فَوَيْلٌ

لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٢١﴾² إلا موصولا بما بعده، و لا "وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ " حتى يصله بقوله "لَا تَعْلَمُونَ

3 4 . ﴿٢٢﴾

¹ سورة ص الآية 20.

² سورة الماعون الآية 4.

³ سورة البقرة الآية 232.

⁴ الزمخشري "الكشاف"

و من الأمثلة في تفسير الزمخشري ما جاء من وصل الواو و فصلها في قوله تعالى: " هُوَ الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالظَّهْرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾¹ ."

يرى الزمخشري أن الأول هو القديم الذي كان قبل كل شيء، و الآخر هو الذي يبقى بعد هلاك كل شيء، و الظاهر بالأدلة الدالة عليه، و الباطن لعدم إدراكه بالحواس، أما تلك الواوات في الآية فالأولى تعني أنه الجامع بين الصفتين الأولى و الأخروية، و الثانية (الوسطى) فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين، و مجموع الصفتين الأخريين، إذ هو المستمر الوجود جميع الأوقات الماضية و الآتية، أما الثالثة فعلى أنه الجامع بين الظهور و الخفاء، و هو في جميعها ظاهر و باطن، جامع للظهور بالأدلة، و الخفاء فلا يدرك بالحواس، و في هذا على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة². فهذه الواوات جاءت متداخلة و ربطت بين المفردات و وصلت بينها ما أعطى معاني عديدة ما كانت لتكون بدونها، كما أنها ربطت بين المعاني المتضادة، و هذا ما أعطى للنص جمالية في الإيحاءات.

¹ سورة الحديد الآية 3.

² الزمخشري "الكشاف" 4 / 61.

و من الوصل المعنوي بالواو ما فسره الزمخشري في قوله تعالى: " أَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾¹. متسائلا عن كيفية اتصال الجملتان بالرحمن ثم يجيب عن

نفسه بأنه استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان له عز وجل،

و السجود له لا لغيره، كأنه قيل: الشمس و القمر بحسبانه و النجم و الشجر يسجدان له،

و وصل بين التناسب و التقارب بينهما بالعطف، و ذلك لأن الشمس و القمر سماويان،

و النجم و الشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل.²

هذا ما كان من الوصل أما ما جاء منها بالفاء : ما كان للتسبيب و التعقيب نحو قوله

تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يُنقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَاذْكُرُوا إِلَىٰ

بَارِيكُمْ فَاذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ^٣ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿٤٤﴾"³ وهنا يرى الزمخشري أن الفرق بين الفاءات يكمن في أن الأولى للتسبيب لا غير،

¹ سورة الرحمن الآية 5-6.

² الزمخشري "الكشاف" 4/ 44.

³ سورة البقرة الآية 54.

لأن الظلم سبب التوبة، و الثانية للتعقيب لأن المعنى فأسرعوا للتوبة، والثالثة متعلقة بمحذوف¹
والمحذوف عنده قد يكون الشرط، و كأنه قال: فان فعلتم فقد تاب

بارئكم.²

و من الوصل بالفاء ما كان للمفاجأة و منه ما جاء في قوله تعالى: " فَكَذَّبُواكُمْ بِمَا

تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا"³

يقول الزمخشري أن هذه المفاجأة بالاحتجاج و الإلزام حسنة رائعة و بخاصة إذا انظم إليها
الالتفات و حذف القول⁴.

أما حرف الوصل ثم، فالملاحظ أنها تفيد التراخي في الحال و استدل الزمخشري على هذا المعنى في

قوله عز وجل: " الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" ⁵.

يرد الحرف ثم في نظر الزمخشري في هذه الآية للدلالة على تراخي الحال و ليس في الوقت، فهي

¹ الزمخشري "الكشاف" 1 / 281.

² المصدر السابق 1 / 281.

³ سورة الفرقان الآية 19.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 3 / 86.

⁵ سورة هود الآية 1.

محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل¹ فلايات أحكمت و بسبب إحكامها أي الحالة التي أصبحت فيها فصلت.

أما الفصل فهو نقيض الوصل، ما كان من ترك عطف الجمل بعضها على بعض مما قد يزيد في تناسق الجمل و جزالتها، إضافة إلى القوة و التأثير الكبير التي يضيف عليها. و قد بين الزمخشري

هذا اللون من البلاغة في تفسيره لقوله تعالى

"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ"² فشرح كيف ابتداء الله قوله ب "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" و لم يعطفها على ما جاء

قبله من الكلام فقال : "هو استئناف في غاية الجزالة و الفخامة و فيه أن الله عز و جل هو الذي

يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين، و لا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله"³.

بالرغم من تأثر الزمخشري بعبد القاهر الجرجاني، إلا أنه تمكن من إضافة الجديد بدخوله إلى خبايا

النص القرآني و التطبيق فيه.

¹ الزمخشري "الكشاف" 258 / 2.

² سورة البقرة الآية 15.

³ الزمخشري "الكشاف" 35 / 1.

● القصر:

تدور دلالات القصر لغة حول الحصر و الحبس و الجزالة و المتانة

و الإلزام¹ و منه قوله عز و جل " حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ " ² بمعنى محبوسات، لا يمتد

نظرهن إلى غير أزواجهن، و في الخيمة معنى الإحاطة و التفرد.

أما اصطلاحاً فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص³ و الشيء هنا هو طرفا القصر أي

المقصور و المقصور عليه " و المراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما للآخر و نفيه عن

غيره"⁴.

و من أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

مُصْلِحُونَ" ⁵. يرى الزمخشري ورود "إنما لقصر الحكم على الشيء أو لقصر الشيء على

الحكم"⁶

و فسّر ذلك بأن "إنما" لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما ينطق زيد، أو تأتي لقصر الشيء على

حكم كقولك: إنما زيد كاتب و معنى إنما نحن مصلحون، أي أن صفة المصلحين هي صفة خالصة

¹ الفيروز أبادي "القاموس المحيط" مادة: قصر.

² سورة الرحمن الآية 72.

³ عبد المتعال الصعيدي "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح" مكتبة محمد علي صباح و أولاده، ط8، 1973، ص 2-3.

⁴ المرجع نفسه ص 2-3.

⁵ سورة البقرة الآية 11.

⁶ الزمخشري الكشاف " ج 1 ، ص

لهم من غير وجه من وجوه الفساد. و كقوله تعالى: " إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^ط

فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ " ¹. يرى الزمخشري أن الأداة إنما أتت لقصر صنف

الصدقات على الأصناف التي عددها بعد ذلك الفقراء، المساكين، العاملين عليها... وذلك لأنها

مختصة بها، لا تتجاوزها إلى غيرها، أي: إنما هي لهم لا لغيرهم، و ذكر مثال قولك: إنما الخلافة

لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم. ² و الملاحظ من خلال تفسير الزمخشري هو أن الأداة

"إنما" تفيد إيجاب الفعل لشيء و نفيه غيره.

و يمكن التعبير عن أداة القصر بالأداة "إلا" و منه قوله تعالى: " وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ^ط

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ^ط وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ " ³

أي لا يدرك و يهتدي إلى تأويله الصحيح و الوجه الذي يحمل عليه المعنى إلا الله والراسخون في

العلم. ⁴

¹ سورة التوبة الآية 60.

² الزمخشري "الكشاف" 3/ 59-60.

³ سورة آل عمران الآية 07.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 1/ 568-569.

و من أنواع القصر التي ذكرها صاحب الكشاف القصر بالتقديم و هي كقوله تعالى: " **وَجُوهٌ**

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ **﴿٢٢﴾** إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ **﴿٢٣﴾**¹

يقول الزمخشري إلى ربها ناظرة" تنظر إلى وجه ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، و هذا معنى تقديم

المفعول، ألا ترى إلى قوله "إلى ربك يومئذ المستقر"، "إلى ربك يومئذ المساق"، "إلى الله تصير

الأمور"، "و إلى الله المصير"، "و إليه ترجعون". عليه توكلت

و إليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص".²

و تعود هذه الصور إلى قصر الصفة على موصوف، و أن الاختصاص أو المقصور عليه يقع في

المقدم دائما.

¹ سورة القيامة الآية 22-23.

² الزمخشري "الكشاف" 6/270.

ثانيا :علم البيان في الكشف:

يعرف الزمخشري البيان في معرض تفسيره للآية في قوله تعالى: " أَلرَّحْمٰنُ ﴿١﴾

عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾¹ أنه المنطق الفصيح المعرب عما في

الضمير.²

و يرى عبد الفتاح لاشين في كتابه البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم أن الزمخشري كان يطلق

على جميع مباحث البلاغة العربية "علم البيان" أي أنها كانت مجرد تسمية ليست لها حدودها.³

غير أن الزمخشري كان قد تناول في تفسيره البلاغي للآيات جميع مباحث البيان المعروفة وهي:

الاستعارة و المجاز، و التشبيه و التعريض و قد أضاف الالتفات و الذي عدّه العلماء قبله من علم

المعاني.⁴

و نتناول الآن نوع من أنواع البيان و هو الاستعارة، من خلال تفسير الزمخشري "الكشاف".

¹ سورة الرحمن الآية 1 / 4.

² الزمخشري "الكشاف" 5/6-6.

³ عبد الفتاح لاشين "البيان في أساليب القرآن" ص 14

⁴ الشارف لطروش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 60.

➤ الاستعارة:

ذكر الزمخشري صور الاستعارة التصريحية بقسميها التبعية و الأصلية و ذكر صور

من الاستعارة المكنية، كما ذكر الترشيح و التجريد. كما أن أبرز ما اهتم به الزمخشري في الاستعارة، ذلك الذي تراهم يسكتون عنه في اللفظ المستعار، ثم يرمزون اليه بذكر أمر آخر قرأته ، و هو نوع من أسرار البلاغة، و أشار إليه في أكثر من موضع و ماله حسن و لطف.¹

و نذكر بعض أنواع الاستعارات التي ذكرها الزمخشري في تفسيره الكشاف.

1- الاستعارة الأصلية:

و هي الاستعارة التي يكون فيها معنى التشبيه متداخلا في المستعار دخولا أوليا، و أن يكون

المستعار اسم جنس، أما عن كونها أصلية فلأنها تبني عادة على تشبيه المستعار له و المستعار منه.²

و من أمثلة هذا النوع من الاستعارة في تفسير الزمخشري ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: "الآر^ج

كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ³.

¹ محمد حسنين أبو موسى: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية" دار الفكر العربي، القاهرة، د ط - د ت، ص 425.

² السكاكي "المفتاح" ص 604.

³ سورة ابراهيم الآية 01.

ففي هذه الآية استعير بالظلمات والنور للدلالة على الضلال والهدى عند الزمخشري¹، إذ

الظلمات في الآية مستعارة للضلال، و الوجه الجامع بينهما هو عدم الاهتداء و هي تصريحية

أصلية، أما لفظة النور فاستعيرت للهدى و القرينة الدالة هي "كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ".

و منه قوله تعالى: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"  ² و المقصود بالصراط هنا طريق الحق وهو


ملة الإسلام³ أي الطريق الذي يسلكه الشخص للوصول إلى المكان المنشود، و كذلك الدين

الإسلامي يقود إلى الخير و الجنان.

2- الاستعارة التبعية:

و هي عكس الاستعارة الأصلية أي لا يكون معنى التشبيه فيها داخلا دخولا أوليا.⁴

ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارة في تفسير الزمخشري قوله تعالى: " وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ

صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ  " ⁵.

¹ الزمخشري "الكشاف" 5/

² سورة الفاتحة للآية 06.

³ الزمخشري "الكشاف" 1/ 121.


⁴ السكاكي "مفتاح العلوم" ص 604.

⁵ سورة الحاقة الآية 06.

قال الزمخشري "عاتية شديدة العصف، و العتو استعارة، أو عتت على عاد، فما قدروا على ردها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء بحفرة، فإنها كانت تترعهم من مكائهم وتهلكهم، و قيل عتت على خزاها فخرجت بلا كيل و لا وزن".¹

فعاتية هنا اسم فاعل من عتت، و المستعار في هذه الآية الريح، أما المستعار منه فهو الإنسان الغاضب و الجامع حالة الإثارة و الغضب.

و من الاستعارة التبعية ما جاء في الحروف كقوله تعالى: "فَالَّتَقَطَهُرَّاءُ الْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ

لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ الْفِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ" .²

يرى الزمخشري أن "اللام" في "ليكون" هي لام كي التي معناها التعليل: كقولك: جئتكم لتكرموني سواء بسواء و لكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا و حزنا، و لكن المحبة و التبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له و ثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، و هو الإكرام الذي هو نتيجة المحي، و التأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك: ضربته ليتأدب، و تحريره أن هذه اللام حكمها حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد من يشبه الأسد".³

¹ الزمخشري "الكشاف" 194/6-195.

² سورة القصص الآية 08.

³ الزمخشري "الكشاف" 4/484.

وضع لام التعليل في الآية جاء للدلالة على ترتيب ما بعدها و ما قبلها كترتيب الإكرام على المحيي.

3- الاستعارة المكنية:

عرفها عبد القاهر الجرجاني على أنها "هي أن يأخذ الاسم على حقيقته و يوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال: هذا هو المراد بالاسم و الذي استعير له و جعل خليفة لاسمه و نائباً مكانه.¹

و نجدها في القرآن الكريم و منها ما جاء في قوله تعالى: "وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ

أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۗ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ ﴿١٥٤﴾".²

يقول الزمخشري "هذا مثل؛ كأن الغضب كان يغريه على ما فعل و يقول له: قل لقومك كذا، و ألق الألواح، و جر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك، و قطع الإغراء، و لم يستحسن هذه الكلمة و لم سيتصفحها كل ذي طبع سليم، و ذوق صحيح إلا لذلك، و لأنه من قبيل شعب البلاغة".³

¹ عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " ص 42

² سورة الأعراف الآية 154.

³ الزمخشري "الكشاف" : 513-514-515

فالغضب ليس هو الذي يسكت و إنما صاحب الغضب هو من يسكت و القرينة الدالة هي

الغضب لأنه من صفات الإنسان. و من أمثلتها أيضا قوله عز وجل: **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ**

أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٧﴾¹.

يرى الزمخشري من خلال تفسيره لهذه الآية أن سؤال جهنم و جوابها من باب التخييل، الذي

يقصد به تصوير المعنى في القلب و تثبيته². هنا نلاحظ الحوار بين الله عز وجل و جهنم، وتبادل

أطراف الحديث مع من لا ينطق تصوير يمثل هول جهنم و حريقها، فاستعار شيئا من لوازم

الإنسان و هو الحديث و صبغه على النار باستعارة تسمى المكنية.

4- الاستعارة التمثيلية:

من أمثلة الاستعارة التمثيلية في القرآن الكريم قول الله تعالى: " **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ**

لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾³. يقول صاحب تفسير الكشاف حول معنى هذه

الآية، أن المعنى المراد من قوله من كان له قلب، أي الواعي، أي الإنسان الذي يعي أمور دينه

¹ سورة ق الآية 30.

² الزمخشري "الكشاف" 9/4.

³ سورة ق الآية 37.

ودنياه، و ذلك لأن من لا يعي قلبه، فهو كमित القلب، أو لا قلب له.¹ فعدل عن أصل القول لأنه أراد التمثيل.

5- الاستعارة الترشيحية:

وهي المجاز المرشح عند الزمخشري كقوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ "

وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾².

يرى الزمخشري بأن كلمة (حجرا محجورا) واقعة على سبيل المجاز، كأن كل واحد من البحرين يتعود من صاحبه، و يقول له حجرا محجورا، فانتفاء البغي كالتعود³ و هي من أفضل الاستعارات و أحسنها و أشدها على البلاغة كما يرى صاحب الكشاف. كونها تشمل على تحقيق المبالغة وتعتمد على تناسي التشبيه.

ومما يلاحظ في تفسير الزمخشري أنه لا يسمي أي استعارة باسمها عدا التخيلية و التمثيلية وهي عنده واحدة، و يسمي أحيانا الاستعارة الترشيحية بالمجاز المرشح، أمّا غير ذلك فإمّا أن يقول عنه أنه مجاز أو استعارة.

6- الاستعارة اللفظية:

¹ الزمخشري "الكشاف" 4 / 11.

² سورة الفرقان الآية 53.

³ الزمخشري "الكشاف" 3 / 96-97.

ذكرها عبد القاهر الجرجاني و سماها بالاستعارة غير المفيدة ، و اللفظية، و أشار الى أنها تجري

بين الأسماء التي تتخذ أجناس مسعياتها كالشفة و الحفلة و المشفر، و ما شابه ذلك مما يكون

منشؤه اختصاص الاسم بما وضع له عن طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة و التفوق في مراعاة

دقائق في الفروق في المعاني المداول عليها، و بين أن هذه المعاني في الفروق تكون معتبرة في هذا

الوضع فتكون استعارة مفيدة كإطلاق المشفر على الشفة الغليظة في مقام الدم.¹

و قد أشار إليها الزمخشري في تفسيره للقران الكريم مثل قوله تعالى: "وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ^ط

فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ^ع

تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^٢"

يتساءل الزمخشري عن سبب تسمية الزحف على البطن مشيا ثم يجب و ذلك لأنه من قبيل

الاستعارة، كما قالوا في الأمر، و كاستعارة الشفة مكان الجحفة، و المشفر مكان الشفة،

و غيرها.¹ و قد صرح في موطن آخر بمصطلح الاستعارة اللفظية، و أنها يمكن أن تحمل على

الاستعارة المعنوية كقوله تعالى: " طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ^٣ " .² و الطلع النحلة،

فاستعير بها بما طلع من شجر الزقوم من حملها على سبيل الاستعارة اللفظية.³

¹ عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص 325.

² سورة النور الآية 45.

➤ الكناية:

تناول الزمخشري في كتابه "الكشاف" الكناية بمعناها الاصطلاحي، و بين فائدتها المرجوة و قيمتها الأدبية، كما أنه ذكر أقسامها، و فرق بينها و بين التعريض، و إشارة إلى الكناية في المفرد.

و يعد الزمخشري في كشافه و من خلال بحثه في الكناية الأول في إثارة الموضوع ضرورة إمكان المعنى الحقيقي في طريقة الكناية، و الأول في ذكر المجاز عن الكناية.⁴

و يتحدث الزمخشري عن بيان طريقة الكناية و أنها فرع من فروع البلاغة، و أن الفائدة منها هي الإيجاز و وضح ذلك من خلال تفسيره لقوله: " فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي

وَقُودُهَا وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ النَّاسِ" ⁵

يقول ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتقاء إتيانهم بصورة من مثله، فقلت أنهم إذا لم يأتوا بها

و تبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله، و إذا صح عندهم صدقه ثم لزموا

العناد و لم ينقادوا و يشايعوا، استوجبوا العقاب بالنار، ف قيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا

¹ الزمخشري "الكشاف" 3 / 195.

² سورة الصافات الآية 65.

³ الزمخشري "الكشاف" 4 ص 36.

⁴ محمد حسنين أبو موسى "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" ص 157

⁵ سورة البقرة الآية 24.

العناد، فوضع "فاتقوا النار" موضعه لأن اتقاء النار لصيقه و ضميمة ترك العناد من حيث انه من نتائجه لأن من اتق النار، ترك المعاندة"¹.

و الكلام يفيد الانتقال في الكناية من الملزوم الى اللازم و من أنواع الكناية نجد:

1- الكناية عن الصفة:

ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: " ^ع أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ ^ع وَاتَّقُوا اللَّهَ ^ع إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ^{١٢} " ²

يرى الزمخشري أن الآية تمثيل و تصوير لما يناله المغتاب لأخيه من عرضه على أفحش وجه

و أفظعه³، مثل الغيبة بأكل لحم الأخ و هو ميت: فهذه الصورة هي كناية على حالة المرد الذي

يغتاب أخاه بظهر الغيب و منه جعله في حالة الميت، الذي لا يستطيع الرد و الدفاع على نفسه. و

منها قوله تعالى في سورة القلم: " ^{١٦} سَنَسِمُهُ ^ع عَلَى الْخُرطومِ ^{١٦} " ⁴ يرى الزمخشري أن الوجه:

أكرم موضع في الجسد، و الأنف أكرم موضع في الوجه لتقدمه له، و لذلك جعلوه مكان العز

والحمية، و اشتقوا منه الأنفة، و قالوا الأنف من الأنف، و حمى أنفه، و فلان شامخ الرعين، و

¹ الزمخشري "الكشاف" 24.

² سورة الحجرات الآية 12.

³ الزمخشري "الكشاف" 568/3.

⁴ سورة القلم الآية 16.

قالوا في الدليل: جدع أنفه، و رغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال و الإهانة، لأن السمة على الوجه شين و إذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه... و في لفظ "ا لَّخْرَطُوم" استخفاف به و استهانة.¹

فكنى بالوسم عن الإذلال، إذ تتغير الملامح لأن الإنسان يفقد شيئاً من عنفوانه و أنفته.

2- الكناية عن موصوف:

يوضح الزمخشري هذا النوع من الكناية في كتابه الكشاف من خلال تفسيره لقوله تعالى: " فَاصْبِرْ

لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ"²

"صاحب الحوت" هو يونس عليه السلام "و إذ نادى و هو في بطن الحوت" " و هو مكظوم"

مملوء غيضا، و المعنى أنه لا يوجد منك ما وجد منه من الغضب و الضجر و الكظم.³ فتبتلى

ببلائه فهو كناية عن موصوف(يونس) لبقائه في بطن الحوت و قد أصابه الضجر و الغضب.

و منه قوله تعالى في سورة القمر: "و حملناه على ذات ألواح و دسر"⁴ و المراد بالدر السفينة، و

هي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتتوب منها حسب رأي الزمخشري و تعمل عملها

¹الزمخشري "الكشاف" 6/ 184.

²سورة القلم الآية 48.

³الزمخشري "الكشاف" 6/ 192.

⁴سورة القمر الآية 13.

حيث لا يفصل بينهما، و لا نستطيع الجمع بين السفينة و هذه الصفة، و هي عنده من فصيح الكلام.

و معنى الدسر المسمار و هو جمع مفردة داسر و المراد حملنا نوح على السفينة المصنوعة بالألواح الخشبية المشدودة بالمسامير.¹

3- الكناية عن نسبة:

و من أمثلتها قوله تعالى: "أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله".²

يرى الزمخشري أن جملة (في جنب الله) تعني في حق الله أو ذاته و هي من حسن الكناية

و بلاغتها، و الكناية هنا عن الملك، و ذلك لأن الأمر أثبت في المكان و نسب إليه، و لا يجوز أن

تكون على الحقيقة لأنها جهة محسوسة، كما لا يصح التفريط في حقوق الله و التي أمر بإتباعها.³

و منه قوله تعالى: "و لمن خاف مقام ربه جنتان"⁴ يقول الزمخشري: ("مقام ربه" موقفه الذي

يقف فيه العباد للحساب... و يجوز أن يراد به قام ربه: أن الله قائم عليه، أي: حافظ مهيمن".⁵

¹ الزمخشري "الكشاف" 38/4.

² سورة الزمر الآية 56.

³ الزمخشري "الكشاف" 404/3.

⁴ سورة الرحمن الآية 46.

⁵ الزمخشري "الكشاف" 16/6.

و على العموم فإن أسلوب الكناية يستعمل ستر و خفاء مالا يراد التصريح به، و ذلك ليكون الكلام بليغا و حسن البيان. و اتضحت الكناية عند الزمخشري بضروبها الثلاثة، الكناية عن الصفة، و عن موصوف و عن نسبة، و في هذه الأخيرة خالف عبد القاهر الجرجاني الذي عدها من المجاز العقلي، و بذلك فتحة بابا لتقسيم البلاغة¹

¹ أحمد جمال العمري "المباحث" البلاغية ص 169.

➤ المجاز:

درس الزمخشري المجاز من خلال تفسيره الكشاف لآيات القرآن الحكيم، و تناول أنواعه و حدوده، و مكن الجمال فيه، غير أنه لم يستخدم مصطلح "المجاز المرسل" و إنما استخدم مصطلحات كانت متداولة قبل ظهور مصطلح المجاز و هي كالحذف و الاتساع و الإضمار، و كثيرا ما كان يستخدم عبارات مثل (من باب المجاز) و (على الحقيقة) و المراد منهما من خلال قوله الحقيقة و المجاز.¹

و من المجاز نوعان:

● المجاز المفرد المرسل

● المجاز العقلي الإسنادي.

و للمجاز المفرد أو المرسل علاقات كثيرة و متعددة و منها ما ذكره الزمخشري في تفسيره لآي القرآن، ما علاقته بالسببية، و ما علاقته المسببة، و العلاقة الجزئية، و الكلية، و اعتبار ما كان وما سوف يكون، و علاقة العموم و الخصوص.

¹ الشارف لطروش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 61.

-علاقة السببية:

و هي كقوله عز وجل: " وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ "

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾¹ . يفسر الزمخشري قوله: " بأيديكم " بأنفسكم وقيل

تقديره: و لا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها، و

المعنى: النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك. أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر

نفسه و يضيع عياله².

فالإنسان يستخدم يده فالإنفاق و البذل و لكنه استخدمها هنا لتكون سببا في هلاكه.

و منه قوله تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا "³ قال

الزمخشري: غل اليد و بسطها مجاز عن البخل و الجود.⁴

- علاقة المسببية:

و هي كقوله تعالى: " أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ

بِأَذْنِهِ

¹ سورة البقرة الآية 195.

² الزمخشري "الكشاف" 1/ 397.

³ سورة المائدة الآية 64.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 2/ 265.

"¹ يرى الزمخشري أن قوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) كناية عن أولياء الله

المؤمنين، إذ هم الذين يدعون إلى الجنة و المغفرة و ما يوصل إليهما ²، و المغفرة هي مسببة للتوبة، فالتوبة تسبب المغفرة.

- علاقة الجزئية:

و من أمثلتها تفسير الزمخشري لقوله عز و جل:

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" ³

يقول الزمخشري: " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ " صلاة المسلمين و زكاتهم، " وَارْكَعُوا مَعَ

الرَّاكِعِينَ " منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم، و قيل الركوع: الخضوع و الانقياد لما يلزمهم

في دين الله، و يجوز أن يراد بالركوع و الصلاة، كما يعبر عنها بالسجود، و أن يكون أمرا بأن

يصلى مع المصلين، يعني في الجماعة"⁴. قال بالجزء و أراد به الكل.

¹ سورة البقرة الآية 221.


² الزمخشري "الكشاف" 1/ 432.

³ سورة البقرة الآية 43.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 1/ 260.

- علاقة الكلية:

و هي عكس العلاقة الجزئية، يطلق الكل و يراد به الجزء و منها قوله تعالى: " قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا


١".  يرى صاحب الكشاف أنه قص من (الليل إلا قليلا، نصفه) أقل من نصف الليل².

بمعنى قم جزءا قليلا من الليل و أقل من نصفه، فأطلق الكلّ و هو الليل و أراد به الجزء والدليل

على ذلك قوله (قليلا).

- علاقة المحلية:

و ذلك بتسمية الشيء بمحلّه، و من أمثلة هذا النوع من المجاز قوله تعالى: "فَلْيَدْعُ

نَادِيَهُ" ³ يقول الزمخشري النادي هو المجلس الذي يجلس و يلتقي فيه القوم أي يجتمعون فيه

و أراد بقوله ناديّه، أهل النادي،⁴ فعبر عن ذلك بالمكان و أراد من خلال من يحلون بذلك المكان.

¹ سورة المزمل الآية 02.

² الزمخشري "الكشاف" 6 / 240.

³ سورة العلق الآية 17.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 6 / 406.

ومنه قوله تعالى: "يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾" ¹ "لا

يتجاوز إيمانهم أفواههم و مخارج الحروف منهم و لا تعي قلوبهم منه شيئاً، و ذكر الأفواه مع

القلوب تصوير لنفاقهم، و أن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، خلاف صفة المؤمنين

في مواطأة قلوبهم لأفواههم" ² و عليه فهو مجاز علاقته المكانية.

- علاقة الحالية:

و من أمثلتها ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَأَمَّا الَّذِينَ أَبَيَّضَتْ وُجُوهُهُمْ

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾" ³ يرى الزمخشري أن معنى قول الله تعالى "في رحمة الله" في

نعمة الله، و هي الثواب الخالد، ⁴ المقصود الجنة و الرحمة هي حالة فيها، فعبر بلفظ الرحمة و هي

الحال و أراد به المحل و هو الجنة و عليه فهو مجاز علاقته الحالية.

¹ سورة آل عمران الآية 167.

² الزمخشري "الكشاف" 1/ 656.

³ سورة آل عمران الآية 107.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 1/ 608.

- علاقة اعتبار ما كان:

و تكون إذا سمي الأمر بما كان عليه من قبل و منه تعالى: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا


أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ¹

يقول الزمخشري "المعنى الذي سرق و التي سرقت" ² أي باعتبار ما اقترفاه من ذنب فيما قبل، وجاء

قوله لتأكيد إقامة الحد لأن الأثر لا ينتهي بانتهاء الفعل.

- علاقة اعتبار ما سيكون:

و منها قوله تعالى: "إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا

" ³ 

يقول الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية " وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا " لا يلدوا إلا من

سيفجر و يكفر فوصفهم بما يصيرون إليه كقوله عليه الصلاة و السلام " من قتل قتيلا فله سلبه " ⁴.

- علاقة العموم:

¹ سورة المائدة الآية 38.

² الزمخشري "الكشاف" 2/ 234.

³ سورة نوح الآية 67.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 6/ 220.

يكون فيه اللفظ المذكور على العموم، و يراد به الخصوص و منها قوله تعالى: "وَإِذْ

قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا^ط وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٦﴾"¹ يقول الزمخشري في قوله "قَتَلْتُمْ

نَفْسًا " "خوطبت الجماعة لوجود القاتل فيهم"² أراد القاتل و هو شخص واحد وخاطب

الجماعة.

- علاقة الخصوص:

و هي عكس علاقة العموم و منه قوله تعالى: "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾"³ يقول

الزمخشري ""عَلِمَتْ نَفْسٌ"" لا نفس واحدة فما المعنى، ثم يجيب على تساؤله بقوله: "هو عكس

كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه"⁴ و هو ضرب يفيد التوكيد فكل نفس ستعلم

و تعرف ما ستكسب غدا، فأطلق الخصوص و أراد به العموم.

¹ سورة البقرة الآية 76.

² الزمخشري "الكشاف" 284/1.

³ سورة التكوير الآية 14.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 363/6.

أما المجاز الإسنادي أو العقلي فقد أشار إليه الزمخشري كثيرا في الكشف و هو كقوله تعالى:

"أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ" ¹

يتساءل الزمخشري إذا كان شراء الضلالة بالهدى، قد وقع في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح

و التجارة، كأن مبيعة "على الحقيقة"؟ و يجب على تساؤله: أن هذا من قبيل الصنعة البديعية،

التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، و هو أن تساق الكلمة مساق المجاز، ثم تقفي بأشكالها و أخوات،

إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه دياجة، و أكثر ماء و رونقا و هو المجاز المرشح.

كما أنه حين تساءل كيف أسند الخسران إلى التجارة و هو لأصحابها قال بأنه من الإسناد

المجازي. ²

و تسمية هذا النوع بالمجاز المرشح هو اجتهاد من الزمخشري لأنه كان معروفا بالمجاز العقلي،

و هو ما أسند فيه الفعل أو ما يحمل معناه إلى غير ما هو له، لوجود قرينة تمنع إرادة الإسناد

الحقيقي. ³

¹ سورة البقرة الآية 16.

² الزمخشري "الكشاف" 1/ 187-188.

³ الشارف لطروش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 62.

➤ التشبيه:

تناول الزمخشري في كتابه الكشاف "التشبيه" و بين أنواعه و درس العلاقة بين الطرفين في حال التعدد و الأفراد و التركيب.

- التشبيه التخيلي:

و هو ما كان فيه الشبه به أمرا قد صنعه الخيال المحض.¹ فهو من وحي الخيال وصنيعه لا وجود له في الأصل. و هو كقوله تعالى: " قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا ۗ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ ".²

يقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: " كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ " "كالذي ذهبت به مردة الجن و الغيلان.. " " حَيْرَانَ " تائها، ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع "له" أي لهذا المستهوي ... و هذا مبني على ما تزعمه العرب، و تعتقده: أن الجن تستهوي الإنسان و الغيلان تستولي عليه

كقوله: "الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ" البقرة 275.

¹ محمد حسنين أبو موسى "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" ص 398.

² سورة الأنعام الآية 71.

فشبه الضال عن طريق الإسلام: التابع لخطوات الشيطان، و المسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم".¹ و الذي نفهمه من خلال قوله هو أنه شبه الضال عن الطريق كالذي استهوته الشياطين فجعل المشبه به ضرباً من الخيال و بالتالي هو تشبيه تخيلي.

- التشبيه المفرد و المركب و المفرق:

و هو ما يكون فيه وجه الشبه واحداً و غير متعدد² و قد وجد هذا النوع من التشبيه في

القرآن الكريم و من أمثله قوله تعالى: "إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ" ³.

يرى الزمخشري على أن التشبيه في القصر ورد من جهتين من جهة العظمة و من جهة الطول في

الهواء، و شبهت كذلك بالجمال و هو جمع جمال أو جمالة مفرد جمل لبيان التشبيه.⁴

و يعرض الزمخشري من خلال تفسيره للتشبيه المركب و المفرق و مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى:

"وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ

سَحِيقٍ" ⁵.

¹ الزمخشري "الكشاف" 362/2.

² الشارف لطرش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 75.

³ سورة المرسلات الآية 32-33.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 289 / 6.

⁵ سورة الحج الآية 31.

يقول عن هذا التشبيه أنه يجوز أن يكون المركب كما يجوز أن يكون من المفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: "من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صورة حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء.. والذي ترك الإيمان و أشرك بالله بالساقط من السماء و الأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، و الشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تموي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة."¹

- التشبيه المقلوب:

تناول الزمخشري هذا النوع من التشبيه في دراسته للقرآن الكريم و تفسيره إياه و وضع عدة أمثلة تخصه نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: " أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا " ² يرى صاحب الكشاف أن الأصل في هذه الآية رأيت من اتخذ الهوى إلها، و جاءت كذلك لتقديم المفعول الثاني عن الأول للعناية.³

¹ الزمخشري "الكشاف" 4 / 192.

² سورة الفرقان الآية 43.

³ الزمخشري "الكشاف" 3 / 93.

و التشبيه المقلوب لا يستطيع المحيي في كل مثال للتشبيه، و إنما يأتي فقط فيما يكون فيه المشبه
والمشبه به معلوما عند الناس، و متعارفا عليه بينهم، حتى يدركوا مجرى الكلام و أنه يسير على

القلب.¹

¹ عبد القادر حسين، القرآن اعجازه و بلاغته، المطبعة النموذجية و مطبعة الأمانة (د.ط) (د.ت)، ص155.

ثالثا : علم البديع في الكشف :

مضى عبد القاهر الجرجاني يكشف نظرية المعاني، و يضع نظرية البيان بأنواعها

المتعددة، و عرض في ثناياها للسجع، و الجناس و حسن التعليل و الطباق، و لم يهتم كثيرا بألوان

البديع، كونه كان لا يرى أنه يدخل ضمن قضية الإعجاز القرآني، لأن الكثير من ألوانه

مستحدث، و ما ورد في القرآن كان عفويا دون تكلف.¹

سار الزمخشري على هذا المنوال لا يعني بما جاء في الآيات الكريمة من خلال تفسيره إلا ما جاء

عرضا، و لا يلزم به إلا حين بعيدا بعد حين و إن ألم بها درسها في خفة.²

و قد درس الزمخشري الالتفات على أنه فن من فنون علم البيان³ بينما يعد أحد فنون علم البديع

وذلك لرؤيته أن البديع ما هو إلا ذيل للبيان.

و الالتفات كما يعده عبد المطلب محمد في كتابه البلاغة الأسلوبية خاصة تعبيرية، يتميز بطاقة

إيجابية من حيث اعتماد بناءه على العدول⁴ بمعنى الانتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر

مخالف له.

¹ شوقي ضيف "البلاغة تطور و تاريخ" ص 265.

² المرجع نفسه ص 265-266.

³ الشارف لطروش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 81.

⁴ محمد عبد المطلب "البلاغة و الأسلوبية" ص 286.

✓ الالتفات:

أ- الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب:

هو أسلوب قليل الاستعمال في اللغة العربية و منه أمثله في القرآن الكريم قوله عز

وجل: "وَمَا لِي لَأَ عَبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾" ¹ قال الزمخشري: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

و لو لا أنه قصد ذلك لقال: (الذي فطرنى و إليه أرجع)، و قد ساقه ذلك المساق إلى أن قال:

"إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾" ² يريد فاسمعوا قولي و أطيعوني، فقد نبهتكم علىالصحيح الذي لا معدل عنه: أن العبادة لا تصح إلا لمن مبتدؤكم و إليه مرجعكم" ³.

فلأصل في الآية الأولى: و إليه أرجع، التفت من التكلم إلى الخطاب و وجه هذا الأسلوب هو

الحث على الاستماع، و أنه أعطاه فضل عناية و تخصيص.

ب - الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة:

يراد بالانتقال الى الغيبة الإبقاء على المخاطب من وقوعه كما يقول الزركشي: "فالغيبة

أروح له و أبقى على ماء وجهه" ⁴.¹ سورة يس الآية 22.² سورة يس الآية 25.³ الزمخشري "الكشاف" ص 319 ج 3.⁴ الزركشي "البرهان" 216.217/3.

و مثال هذا اللون في القرآن الكريم ما أورده صاحب الكشاف من أمثلة؛ قوله عز وجل: " إنا

أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ " .¹

لم يقل فصل لنا، عودة الى أسلوب الخطاب الأول في أعطيناك، و هذا تحريضا على فعل الصلاة

لحق الإله، و قد جعل الزمخشري الضمير بين الجزأين مقيدا للاختصاص.²

و في قوله تعالى: " قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ " .³

يقول الزمخشري : عدل من المضمير إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه

و لما في طريقه الالتفات من مزية البلاغة، و ليعلم أن الذي وجب الإيمان به و اتباعه هو هذا

الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته، كائنا ما كان، أنا أو غيري، للصفة و

تفاديا من العصبية لنفسه.⁴

¹ سورة الكوثر الآية 1-2.

² المالكي "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت 291/6.

³ سورة الأعراف الآية 158.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 519 / 2.

و لهذا الالتفات فائدتان إحداهما: دفع التهمة عن نفسه (الرسول صلى الله عليه وسلم) بالعصية، و الثانية: تنبيه المخاطب على استخفافه بالإتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة من النبوة و الأمية.

ج- الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة:

جاء في الكشاف تفسيره لقوله عز وجل: " هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظُنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَخْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢٢﴾ " ¹.

انتقل إلى ضمير الغيبة في (وَجَرَيْنَ بِهِم) ، وفي حين أول كان قد استعمل ضمير الخطاب في

(كنتم)، يرى الزمخشري أن فائدة نقل الكلام من الخطاب إلى الغيبة المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم

حالهم و يعجبهم منها و يستدعي منهم الإنكار القبيح" ².

و لو أنه استمر في نفس النسق على ذلك الخطاب لفاتت تلك الفائدة المرجوة.

د- الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم:

¹ سورة يونس الآية 22.

² الزمخشري "الكشاف" ج 3 / 126.

هذا الصنف من الأسلوب كثير في القرآن الكريم و من أمثله قوله تعالى: " سُبْحَانَ

الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا

حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾¹ صرف الكلام من ضمير الغائبات

إلى ضمير المتكلم فقيل (أسرى به ثم باركنا لنريه) و هي طريقة من طرق الالتفات و التي هي من

الإعجاز البلاغي.²

ومن مثل هذا قوله عزّ وجلّ: " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ

فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٣﴾³

تحدث الله عزّ و جلّ عن نفسه بأسلوب الغيبة (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ) ثم انتقل الى ضمير المتكلم

المعظم لنفسه في قوله: (فَسُقْنَهُ).

ولعل الفائدة من هذا النوع دلالية كما يرى الزمخشري في تفسيره الكشاف ، فمثلا يمكن أن نقول

في المثال الأخير: انه لما كان سوق الحساب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها دالا على القدرة

¹ سورة الإسراء الآية 01.

² الزمخشري "الكشاف" 3/ 493.

³ سورة فاطر الآية 09.

الباهرة و الآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره؛ عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلّم، لأنه أَمَعَن في الاختصاص و أدل عليه و أفخم.¹

هـ- الانتقال من لفظ الغائب إلى المخاطب:

و هو كما في قوله تعالى: " مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٠١﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " ²

يرى الزمخشري أنه قد عدل عن لفظ الغائب في قوله (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و ما قبلها

إلى لفظ الخطاب، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) و هذا ما يسمى في علم البيان بالالتفات،

و قد يكون من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى التكلّم.³

كان هذا كما يرى صاحب التفسير على عادة افتتاهم في الكلام و تصرفهم فيه، و لأن الكلام إذ

نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن نظرية لنشاط السامع، و إيقاظا للإصغاء إليه من

إجرائه على أسلوب واحد.⁴

و في كل مرة يبرز الزمخشري مزايا كثيرة و معان جديدة لأسلوب الالتفات، و أمّا عن الغرض

¹ الزمخشري "الكشاف" 302/3 .

² سورة الفاتحة 04-05 .

³ الزمخشري "الكشاف" ج 1 ص 118-119 .

⁴ المصدر نفسه 120/1 .

العام له فالتنشيط و التطرية مثلما قال البلاغيون.¹

✓ اللف و النشر:

لغة: ورد في لسان العرب، اللف: الطي، نقيض النشر، طويته طيا و طية.²

أما في الاصطلاح فيعرفه المبرد بقوله: "و العرب تلف الخرين المختلفين، ثم ترمي بتفسيرهما جملة

ثقة بأن السامع يرد من كل خبره"³

و قال تعليقا على بيت امرئ القيس:

كأن القلوب الطير رطبا و يابسا لدى وكرها العناب و الحشف البالي⁴

فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه رطبا العناب، و كأنه يابسا

الحشف؟ قيل له العربي الفصيح الفطن يرمي بالقول مفهوما، و يرى ما بعد ذلك من التكرار

عيا".⁵

و في القرآن الكريم ما جاء في قوله عز و جل: " وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ

نَصْرَى

¹ الشارف لطروش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 81.

² ابن منظور "لسان العرب" مادة لف

³ المبرد "الكامل" ص 741.

⁴ امرؤ القيس "الديوان" 359/1.

⁵ المبرد "الكامل" ص 740.

تَلَّكَ أَمَانِيَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾¹.

يرى الزمخشري أن معنى الآية (و قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، و قالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان منهم) فقد أُلِّف بين القولين ثقة بأن السامع يرد كل فريق إلى فريق قوله، و كذلك أَمِنَا لِلإِلْبَاسِ لما من التعادي بين الفريقين²

مما لا يخطر في بال القارئ أن يتحدث الفريقان باسم واحد و ذلك لشدة تعاديهما.

و منه قوله تعالى: " فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا

اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾³. فقوله (لِتُكْمِلُوا) عند

الزمخشري علة الأمر بمراعاة العدة، أما قوله: (وَلِتُكَبِّرُوا) فعلة الأمر فيه ما عُلِمَ من كيفية القضاء

و الخروج عن عهدة الفطر، و (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) علة الترخيص والتسيير، و هو عنده نوع

¹ سورة البقرة الآية 111.

² الزمخشري "الكشاف" 1/ 310.

³ سورة البقرة، الآية 185.

من اللّف لطيف المسلك لا يهتدي إلى تبيّنه إلاّ النّقاب المحدث من علماء البيان.¹ وقد ذكر الأوّل وهو يعلم أن السامع يدرك ما يريد و هو العدة، و كذلك في بقية الكلام.

والزمخشري يرى بالرغم مما يتركه هذا الأسلوب من جماليات، و يعتبره نوعاً لطيف المسلك، لا يستطيع إدراكه إلاّ من كانت له دراية كبيرة و واسعة و بعد نظر.

✓ التجريد:

ذكر ابن الأثير أن التجريد هو إخلاص الخطاب لغيرك و أنت تريد به نفسك، لا

المخاطب، و له عنده فائدتان:

الأولى: طلب التوسع في الكلام و الثانية: و هي الأبلغ، و هي أن يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أبرأ من العهدة فيما يقوله غير محور عليه.²

فحين يتكلم الإنسان عن نفسه بلسان غيره يحتاط لأن يفهم منه ذلك الغير ما يقصده من كلامه.

والتجريد عن القزويني هو انتزاع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة

في كمالها.³

¹الزمخشري "الكشاف" 384/1 .

² ابن الأثير "المثل السائر" ص 427.

³ القزويني "الإيضاح" ص 363.

و قد وضع المدني في كتابه "أنوار الربيع في أنواع البديع" أقسامه و هي سبعة أقسام:

أولاً: أن يكون ب (من) التجريدية الداخلة المنتزعة منه مثل: (و لي من فلان صديق حميم)، أي قد

بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص من صديق مثله فيها.

أما الثاني: فأن يكون (بالياء) التجريدية الداخلة على المنتزعة منه،

و الثالث يكون بدخول ياء المعية و المصاحبة في المنتزعة مثاله (و القدر يعدو بي إلى حيث لا أدري)

و كأنه يعدو معه.

أما الرابع فيكون بدخول (في) على المنتزعة منه كقوله تعالى: " ذَلِكْ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ

فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا تَجَحَّدُونَ" ¹ أي في جهنم ز هي دار الخلد، وهذا

أمر واقع.

و الخامس، يعني أن يكون بلا توسط حرف و مثاله قولك: "سأدفع عن أرضي و إن مات الكريم

لجواد" و يعني بالكريم الجواد نفسه.

أما السادس فأن يكون بطريق الكناية كقول الأعشي:

يشرب كأساً بكف من بخلا.¹

يا خير من يركب المطي و لا

¹ سورة فصلت الآية 28.

أي يشرب الكأس بكف جواد، فقد انتزع من الممدوح جوادا يشرب الكأس بكفه، على طريق الكناية، لأنه نفى عن الشرب بكف البخيل، و أثبت به أن الشارب كريم، و معلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم.²

و السابع أن يكون بطريق خطاب المرء لنفسه، كقول المتنبي:

لا خيل عندك تهديها و لا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال.³

و كأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فقد المال و الخيل و الحال التي كان و هي كونه بخيل.⁴

و مما جاء في تفسير الكشاف منه ما كان بـ (من) التجريدية، كقوله تعالى: " وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا " .⁵

معنى (من) عند الزمخشري يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل : (هب لنا قررة أعين) ثم بينت القررة

وفسرت بقوله: "من أزواجنا و ذرياتنا" و معناه أن يجعلهم الله لهم قررة أعين، و ذلك مثال قولهم

رأيت منك أسدا، أي: أنت أسد.⁶

¹ الأعرشى "شرح ديوان الأعرشى" تحقيق حنا زهير الحقي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1 1412' هـ-1992 م) ص 267.

² المدني "أنوار الربيع في أنواع البديع" حققه شاكر هادي شكر، ط 1 (1389 هـ/1969 م) ص 153-158.

³ المتنبي "الديوان" ص 215.

⁴ أحمد مطلوب معجم المصطلحات ص 215.

⁵ سورة الفرقان الآية 74.

⁶ الزمخشري "الكشاف" 4 / 374.

و منه ما جاء بالباء التجريدية كما في قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾".¹

في هذه الآية يرى الزمخشري أن المراد بالسؤال في قوله تعالى: " فَسَأَلَ بِهِ خَيْرًا " سل بسؤاله

خبيرا، كقولك: " رأيت به أسدا" أي برؤيته. و المعنى إن سألته وجدته خبيرا.²

و مما كان من دخول الفاء على المنتزع منه ما جاء في قوله عز وجل: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٦١﴾" ³ و المفهوم منه عند

صاحب الكشف أن الرسول صلى الله عليه و سلم هو الأسوة الحسنة.⁴

و منها قوله تعالى: "ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۗ جَزَاءُ مِمَّا كَانُوا بِعَآيَتِنَا

تَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾" ⁵ النار عند الزمخشري هي نفسها دار الخلد كقولك: لك في هذه الدار دار

السرور، و أنت تعني الدار بعينها.⁶

¹ سورة الفرقان الآية 59.

² الزمخشري "الكشاف" 365/4.

³ سورة الأحزاب الآية 21.

⁴ الزمخشري "الكشاف" 58/5.

⁵ سورة فصلت الآية 28.

⁶ الزمخشري "الكشاف" 102/5.

و ذكر القزويني أنه انتزع من النار مثلهما ¹ أي انتزع منها دارا أخرى و جعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلا لأمرها و مبالغة لاتصافها بالشدة.²

ويدرك ذلك كل من يتأمل قوله تعالى: " يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْقُورًا رَبَّكُمْ إِنَّا زَلَّزَلْنَا السَّاعَةَ

شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ

حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ " الحج

الآية 2/1.

¹ الزمخشري "الكشاف" 102/5.

² القزويني "الإيضاح" ص 364.

✓ التقسيم:

يعد السكاكي التقسيم من المحسنات المعنوية، و هو عنده أن تذكر شيئاً ذا جزئين، أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك،¹ في حين رأى القزويني أنه أعم من النشر، إذ هو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل، إليه على التعيين.²

أما قدامة بن جعفر فوضع شروطاً لصحة التقسيم يبدأ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها و لا يغادر شيئاً منها³

و من أمثلة التقسيم في القرآن الكريم قول الله عز و جل: " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا

مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۖ إِذْنِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ " .⁴

يرى الزمخشري أنه قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم و هو المرجئ لأمر الله، و مقتصد، و هو الذي خلط عملاً صالحاً و آخر سيئاً و سابق من السابقين.⁵

¹ السكاكي "المفتاح" ص 201.

² القزويني الإيضاح ص 358.

³ قدامة بن جعفر "نقد الشعر" ص 149.

⁴ سورة فاطر الآية 32.

⁵ الزمخشري "الكشاف" 462/5.

و في هذا التقسيم تجد نفس السامع متشوقة لرد كل إلى ماله فالكلام الأول مصفوف بحيث يتعذر فهمه، و إن تنبه السامع إلى ما يراد ببعضه أحيانا.

و مثاله أيضا تفسير الزمخشري لقوله تعالى: " وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ

إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ^ط وَإِنْ يَكُ

كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ^ط وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ

هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ^ط " ¹

قال: و قوله "البينات" يريد بالبينات العظيمة التي عهدتموها و شهدتموها، ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم و قال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا. ²

فالذي يأتي بالخبر إما أن يكون صادقا و إما أن يكون كاذبا اثنين لا ثالث لهما. وهذا ما يعرف عند علماء المنطق باستحالة الثالث المرفوع وهو من مبادئ العقل ، وهكذا نلاحظ اعتماد البلاغة على مبادئ العقل (المنطق).

¹ سورة غافر الآية 28.

² الزمخشري "الكشاف" 464/3 .

✓ المقابلة:

المقابلة عند قدامى هي من أنواع علم المعاني، إذ يرى "أن من صحة المقابلات أن يضع

الشاعر معان يريد التوفيق بين بعضها، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، و في المخالف بما يخالف، على الصحة، أو بشرط شروطا و يعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه و عدده، و فيما يخالف بأضداد تلك".¹

و فصل السكاكي المقابلة عن المطابقة و أدخلها في المحسنات المعنوية². في حين أدخلها ابن الأثير في المطابقة قائلا: اعلم أن الأليف من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة".³

هذا و قد قام البلاغيون بالتفريق بين الطباق و المقابلة، و ذلك من حيث أن الطباق لا يكون إلا لضدين غالب الأحيان كقوله تعالى: "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ"⁴. في حين غالبا ما تكون المقابلة بالجمع بين أربعة أضداد، ضدين في أصل الكلام و ضدين في العجز و مثاله قوله عز وجل: "وَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَحُرْمٌ عَلَيْهِمُ اللَّحَبَاتِ"⁵ هذا بالإضافة إلى أن الطباق لا يكون إلا

¹ قدامة بن جعفر "نقد الشعر" ص 75.

² السكاكي "المفتاح" ص 66.

³ ابن الأثير "المنل السائر" ص 212.

⁴ سورة الأعراف الآية 158.

⁵ سورة الأعراف الآية 157.

بالأضداد، بينما تكون المقابلة بالأضداد وغيرها و هي على أنواع: مقابلة اثنين باثنين، و ثلاثة بثلاثة، إلى أن تصل ستة بستة.¹

و من أمثلته في قوله تعالى: " أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ " ² ذكر السفه وهو الجهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له.³

أما ما كان في المقابلة قوله تعالى: " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ " ⁴

يرى الزمخشري أن المختال مقابل للماشي مرحا، و الفخور للمصعد خده كبرا.⁵

و منها نلاحظ أن المقابلة تجوز في التشابه أو المختلف في المعاني و منه قوله تعالى: " فَأَمَّا مَنْ

أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ نَخَلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ " ⁶

¹ أحمد مطلوب "معجم المصطلحات" 288 /3.

² سورة البقرة الآية 13.

³ الزمخشري "الكشاف" 183 /1.

⁴ سورة لقمان الآية 18.


⁵ الزمخشري "الكشاف" 234 /5.

⁶ سورة الليل الآية 5-6-7-8-9-10.

يقول الزمخشري (استغنى) زهد فيها عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لأنه في مقابلة "اتقى"¹. فالعطاء يسر و الإستغناء عسر.

و منها قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ^ط

وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

2. " 

المجادلة بالتي هي أحسن هي عند الزمخشري بالخصلة التي هي أحسن، و هي مقابلة للخشونة

باللين، و الغضب بالكظم، و العنف بالأناة.³

¹ الزمخشري "الكشاف" 6/ 386.

² سورة العنكبوت الآية 46.

³ الزمخشري "الكشاف" 4/ 553.

✓ الجناس:

ورد الجناس عند الزمخشري بعدة أسماء منها الجناس، و التجنيس، و التجانس اللغوي.¹

و من أمثله في القرآن الكريم ما ورد في قوله تعالى: " فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ

حُطِّ بِهٖءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ " ²

ذكر بأنه من جنس الكلام و هو ما اصطلح عليه المحدثون "البديع" الذي يعد من محاسن الكلام

المتعلق باللفظ يقول و ذلك بشرط: "أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه

صحة المعنى و سداده"³

و من التجانس اللغوي في القرآن ما جاء في قوله تعالى: " وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَٰ يُوسُفَ

وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ " ⁴

أفاد اقتران الفاء و السين في قوله " يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَٰ يُوسُفَ " و بتكرارهما الإيحاء بجرس حزين

وإيقاع مؤثر و قال الزمخشري أضاف الأسف و هو أشد الحزن و الحسرة إلى نفسه، و الألف بدل

من ياء الإضافة و التجانس بين لفظي الأسف و يوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيلمح و

¹ الشارف لطرش "المباحث البلاغية عند الزمخشري" ص 86.

² سورة النمل الآية 22.

³ الزمخشري "الكشاف" 4/447.

⁴ سورة يوسف الآية 84.

بيدع¹ و هكذا نجد أن الزمخشري و إن لم يفصل مقارنة مع علم البيان و علم المعاني بشكل واسع

في أساليب البديع إلا أنه أشار إليها

و بينها .

¹ الزمخشري "الكشاف" 3 / 315.

الخاتمة :

الخاتمة :

و أخيرا و ليس آخرا وبعد الانتهاء من عرض الفصول خلصنا إلى استخلاص النتائج الآتية :

-لم توجد البلاغة بشكلها النظري بادئ الأمر ، حيث كانت ذات صبغة عملية برزت من خلال النظم و النثر .

-سارت البلاغة في خطى التطور عبر أمد طويل ابتداء من كونها صفة للكلام الجيد الحسن إلى أن أصبحت علما له قواعده و أحكامه و قوانينه و تعريفاته و حدوده .

-كانت البلاغة و لا زالت موضوعا مشتركا بين الدراسات القرآنية و اللغوية و الأدبية و النقدية ، و الفلسفية ، أيضا .

-تعين البلاغة على البيان و تساعد على الفهم .

-يعدّ القرآن العامل الرئيسي الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها.

-يقول الله عزّ و جلّ " أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء 82 . إذ أن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو في عدم اختلافه و تباينه مهما تعددت موضوعاته ، فهو يجري في نسق واحد ما يظهر فصاحته و بلاغته و بيانه .

-سر الإعجاز القرآني هو في تأليفه الميّز و نظمه العجيب .

-أصل لفظ النظم في وضعه اللغوي للدلالة على شيء محسوس و مادي ، يتعلق بترتيب الخرز و اللؤلؤ في السلك ، ثم تطور إلى الدلالة المعنوية و التي تعني ترتيب الكلام .

-فكرة النظم فكرة عربية محضة ولدت في أحضان القرآن الكريم ، ثم تطورت لتصبح نظرية متكاملة تُعنى بإعجاز القرآن الكريم .

-الفضل في نظرية النظم مشترك بين القدماء و عبد القاهر الجرجاني ، غير أن عبد القاهر الجرجاني كان هو من أستطاع أن يربطها بالنحو ، فالبلاغة ما هي إلا نتيجة لإقامة قوانين النحو و قواعده .

-تعليل الظواهر النحوية يؤدي إلى الكشف عن أسرار بلاغية عميقة الدلالة ، و على هذا الأساس فإن فهم البلاغة القرآنية لن يتحقق إلا بفهم النحو .

-الأسلوب القرآني هو أسلوب فريد و متميز بنظمه و فواصله و تصويره الفني و بذلك لا مجال لمقارنته مع كلام البشر ، حتى و لو كان صاحب هذا الكلام من جابرة البلاغة و البيان .
-مرد جمال الأسلوب القرآني هو لما فيه من معاني إضافية للتعبير من تقديم و تأخير و ذكر

و حذف ، وصل و فصل ، وقصر و غيرها من خصائص العبارات .

-من أساليب القرآن أسلوب القصر ، و يبرز جماله في الأسلوب الموجز ، المتلاحم الذي يتضمن المبالغة و التوكيد و يحفظ التوازن لمكوناته .

-من السمات الأساسية لأسلوب القصر أنه يحق المقولة التي عرفت عن البلاغة بأنها الإيجاز .

-في أسلوب القصر لا تتغير الحركة الإعرابية للمقصور و المقصور عليه ، لضعف التأثير الإعرابي لأدوات القصر ، وبهذا يتحوّل الكلام بالقصر من كلام عادي إلى كلام يصنع في النفوس صنيع السحر .

-من خصائص الأسلوب القرآني فواصل الآيات التي تجمع إلى حسن النظم و عذوبة اللفظ ، حسن الدلالة و كثرة الفائدة ، وهي بذلك أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

-تسمية الفواصل بهذا الاسم استنادا لقوله تعالى في سورة هود : " أَلر كتابُ أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " .

-من أهم أسرار الإعجاز في الفواصل : المزاوجة ، التناسب ، إحكام الربط الفني ، مراعاة الفواصل و تحقيق التناغم و الإيقاع .

-يعدّ التصوير الفني للقرآن الأداة المفضلة ، فهو يعبر عن الصورة المتخيّلة و عن الحالة

النفسية ، و عن الطبيعة البشرية ، و من ثمّ يرتقي بهذه الصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة

و الحركة .

- لا يعدّ كشاف الزمخشري مجرد تفسير و فقط ، بل هو عبارة عن موسوعة للمصطلحات البلاغية ، فبالإضافة للتفسير جمع فيه علوم البلاغة دارسا إياها من ناحية الإعجاز القرآني.
- يرى الزمخشري أنّ زاد طالب العلم في تفسير القرآن الكريم علم المعاني و علم البيان ، فبدونهما لا تستقيم الدلالة ، ولا تتضح لطائف الذكر الحكيم ، وجماله البلاغي المعجز .
- علم المعاني وصي بكل ما يتصل بالمعنى النحوي للكلمة و موضعها في الجملة ، إذ هو علم القواعد المتعلقة بأركان الجملة و متعلقاتها في اللغة العربية ، يبيّن الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المسند و المسند إليه ، و متى يجب الذكر أو الحذف ، أو التعريف أو التنكير
- استطاع الزمخشري أن يقدم صورة جديدة لتفسير القرآن تفسيرا بيانيا بالمقارنة مع سابقه .
- يعدّ الزمخشري خير من توسع في نظرية عبد القاهر الجرجاني ممّا أكسبها حيوية التذوق اللغوي ، وأضاف إلى معالمها الكثير ، وهذا ما يدلّ على غوره و عمقه في هذا الفن .
- عمد الزمخشري إلى الإكثار من الشواهد و الأمثلة لتكون سراجا للبلغاء من دون الإلحاح على التعريف و التوضيح .

- درس الزمخشري في كشافه علم البيان و ضمّنه كل ما يتعلق ببالحجاز و التشبيه

و الاستعارة .

- لم يول الزمخشري للبديع الأهمية الكبرى قياسا مع علم المعاني و علم البيان ، فلقد اعتبره فرعاً من فروعهما ، حتى أنّه لم يذكره حينما تحدث عن ما يجب أن يتزوّد به طالب التفسير للقرآن الكريم ، و نجده قد درس الالتفات في علم البيان ، و هو في حقيقة الأمر أحد فنون علم البديع .

المصادر و المراجع :

قائمة المصادر و المراجع :

1. ابن الأثير " المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر " تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة الحلبي و أولاده ، مصر ، دط ، 1358هـ/1939م.
2. ابن الجني " الخصائص " تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 3 ، 1406هـ/1986م.
3. ابن عماد الحنبلي " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دط ، دت .
4. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد " المقدمة " تحقيق علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب دط ، 2002م .
5. ابن خليكان " وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان " تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1397 ، 1977م.
6. ابن عماد الحنبلي " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دط ، دت .
7. ابن قتيبة " تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط 2 ، 1973م.
8. ابن منظور " لسان العرب " دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1414 ، 1994.
9. أبو بكر الباقلائي " إعجاز القرآن " تحقيق أحمد صقر ، دط ، دت .
10. أبو بكر عبد القادر الرازي " مختار الصحاح " دار الحديث للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، دت .
11. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " الحيوان " تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الحلبي و أولاده ، دط ، 1938م.

12. أبو هلال العسكري " الفروق اللغوية " تحقيق محمد إبراهيم ، دار العلم و الثقافة والنشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، دت .
13. أبو هلال العسكري " الصناعتين " تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ، دت .
14. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي " مفتاح العلوم " ضبط وتعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 م.
15. أحمد أحمد بدوي " من بلاغة القرآن " ههضة مصر لطباعة و النشر و التوزيع، دط ، 2005 م .
16. أحمد بن حنبل " مسند الإمام " دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1978 .
17. أحمد مطلوب " معجم المصطلحات البلاغية و تطورها " مطبعة المجمع العلمي العراقي دط، 1403ه/1983م.
18. إسماعيل بن حماد الجوهري " الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية " تحقيق أحمد عبد الرؤوف ، دار العلوم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1987م.
19. امرئ القيس " الديوان " دار الكتب العلمية، 2004 – 1425 ، ط5 .
20. الحسن بن رشيق القيرواني " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " .
21. الأسد أبادي " المغني في أبواب التوحيد و العدل " تحقيق أمين الخولي ، مطبعة دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1981 م .
22. الأعشى " ديوان الأعشى " تحقيق حني زهير الحتي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1412ه/1969م.
23. الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر " الكشاف عن حقائق التنزيل

- و عيون الأقاويل في وجوه التأليف "تحقيق عادل أحمد و علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط1 ، 1418هـ/1989م .
24. الزمخشري " مقامات الزمخشري " دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1402هـ/1982م .
25. السيد أحمد الهاشمي " جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع " المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1999م .
26. السمعاني " الأنساب " تعليق عبد الله عمر البارودي ، مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية ، دار الجنان ، ط1 ، 1408هـ/1988م .
27. السيد شيخون " أسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن الكريم " مكتبة الكليات ، الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1403هـ/1983م .
28. السيد أحمد الهاشمي " جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع " المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ط1 .
29. الشارف لطروش " المباحث البلاغية عند الزمخشري من خلال تفسير الكشاف " دار أم الكتاب للنشر و التوزيع ، دط ، 2010 .
30. القزويني " الإيضاح في علوم البلاغة " شرح و تعليق محمد عبد المنعم خفاجي منشورات دار الكتب اللبناني ، ط4 ، 1975 .
31. الفيروز أبادي " القاموس المحيط " مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، 1998 .
32. الفيومي " المصباح المنير " دط ، دت .
33. المالكي " الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال " دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، دت ، دط .

34. المررد محمد بن يزيد " البلاغة " تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، دط ، 1965 .
35. المدني " أنوار الربيع في ألوان البديع " حققه شاكر هادي شكر ، 1389هـ/1969م، ط1 .
36. بلقاسم البغدادي " المعجزة القرآنية " ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، دط ، 1992 .
37. تمام حسان " البيان في روائع القرآن دراسة أسلوبية للنص القرآني 1413/1993م، دط.
38. حاتم صالح ضامن " نظرية النظم تاريخ و تطور " دار الحرية للطباعة بغداد ، دط ، 1979م / 1399هـ .
39. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر " الكتاب " تحقيق اميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1991 .
40. سيد قطب " التصوير الفني في القرآن " دار الشروق ، بيروت ، دط، دت .
41. سيد قطب " في ظلال القرآن " دار الشروق ، بيروت ، ط10 ، 1981 .
42. شامي محمد هشام " نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم نظريا وتطبيقيا " الشروق ، الأردن ، دط ، 2006م .
43. شوقي ضيف " البلاغة تطور وتاريخ " دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، دط ، 2002م .
44. صلاح الدين عبد التواب " الصورة الأدبية في القرآن الكريم " الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان ، ط1 ، 1995 .

46. عباس فضل " البلاغة فنونها وأفانها علم المعاني " دار الفرقان للنشر و التوزيع ، عمان ، 1994 .
47. عباس فضل وآخرون " إعجاز القرآن الكريم " دار الفرقان للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، دط ، 1991م .
48. عبد الله بن المقفع " الأدب الصغير " تحقيق أحمد زكي ، مصر ، دط ، 1911م .
49. عبد المتعال الصعيدي " بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح " مكتبة محمد علي صبح وأولاده ، ط8 ، 1973 .
50. عبد العظيم المطعني " الموسوعة القرآنية المتخصصة " بلاغة القرآن .
51. عبد الغني سعد محمد بركة " إعجاز القرآن وجوهه وأسواره " مكتبة وهبة ، القاهرة ، دط ، 1989م .
52. عبد الفتاح لاشين " ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن " دار رائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986م .
53. عبد القادر حسين " القرآن إعجازه وبلاغته " المطبعة النموذجية ومطبعة الأمانة دط ، دت .
54. عبد القادر عبد الجليل " الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية " دار صفاء ، عمان ، ط1 ، 2002م .
55. عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " تحقيق محمد محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة ، ط3 ، 1413هـ / 1992م .
56. عفت الشرقاوي " بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، 1981م .
57. عمرو بن بحر الجاحظ " البيان والتبيين " تحقيق حسن السندوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، دط ، 1414هـ / 1993م .

58. علي بن عيسى الرماني " النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، دط ، دت .
59. محمد أبو موسى " التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان " مكتبة وهبية ، مصر ، القاهرة ، ط3 ، 1413هـ / 1993 .
60. محمد بركات حمدي أبو علي " البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل " دار البشير ، عمان ، ط1 ، 1991.
61. محمد بن يزيد المبرد " البلاغة " تحقيق رمضان عبد التواب ، القاهرة ، دط ، 1995م.
62. محمد حسنين أبو موسى " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية " دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ، دت .
63. محمد سعيد رمضان البوطي " من روائع القرآن " مؤسسة الرسالة ، بيروت دط ، 1420هـ/1999م.
64. محمد رمضان الجري " البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان " منشورات جامعة ناصر ، الجماهيرية العظمى ، ط1 ، 1997 .
65. محمد عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف " البلاغة العربية بين التقليد والتجديد " دار الجليل ، بيروت ، ط1 ، 1412 ، 1992م.
66. محمد علوان ونعمت علوان " من بلاغة القرآن " الدار العربية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، 1998م .
67. محمد قطب عبد العال " من جماليات التصوير الفني في القرآن الكريم " الشركة السعودية للتوزيع ، الرياض ، السعودية ، 1415هـ .
68. محمد كريم الكواز " علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات " جامعة السابع من أبريل ، ليبيا ، ط1 ، 1426هـ .

69. مصطفى صادق الرافعي "إعجاز القرآن و البلاغة النبوية" دار الكتب العلمية،

بيروت ، لبنان ، ط2، 2002م .

70. مصطفى صادق الرافعي " تاريخ آداب العرب " راجعه وضبطه عبد الله المشاوي

ومهدي البحقيري ، مكتبة الإيمان ، ط1، 1997م .

71. مصطفى الصاوي الجويني " منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه ،

دارالمعارف ، القاهرة ، ط3 ، دت .

الفهرس :

المقدمة	أ/ب.....
مدخل	1.....
الفصل الأول : الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم .	
النظم وعلاقته باللفظ والمعنى	12.....
الأسلوب القرآني	28.....
التصوير الفني في القرآن الكريم	57.....
الفصل الثاني : المصطلحات البلاغية في تفسير الزمخشري .	
المميزات العلمية والثقافية عند الزمخشري	85.....
علم المعاني في الكشف	91.....
علم البيان في الكشف	108.....
علم البديع في الكشف	130.....
الخاتمة	150.....
المصادر و المراجع	154.....

الملخص

يتناول هذا البحث و الذي يقع في فصلان : البلاغة الأدبية من خلال القرآن الكريم ، مع جانب تطبيقي لها من خلال تفسير الكشاف للزمخشري .

و يتناول عناصر البلاغة الأدبية و التي تصل بكل من علم المعاني و علم البيان و علم البديع ، وهنا مكن سر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، ليبقى كلام الله عزّ وجلّ الأعلى و الأسمى عن سائر الفنون الأدبية الوضعية .

الكلمات المفتاحية : البلاغة الادبية ، النظم ، الأسلوب القرآني ، الصورة الفنية، الإعجاز القرآني .

Abstrait

Cette thèse, qui résume en deux chapitre ; traite l'éloquence littéraire à travers les versets Coraniques, avec son application dans l'exiger d'elkachafe zamakhchari .

Elle comporte aussi les différents éléments de l'éloquence littéraire qui englobe la science et la sémantique de l'élocution et c'est ici que réside la suprématie de la parole de dieu rapport à toutes les autres créations littéraires

Mots clés : l'éloquence littéraire - systèmes -style coranique -. image technique -coranique miracle .

Abstract

This research, which is located in Two classes: the literary eloquence through the Koran, with the application through her interpretation of Zamakhhari Scouts.

This note discusses the elements of literary eloquence and that link each of the semantics and aware of the statement and informed Budaiya, and here lies the secret of rhetorical miracles of the Koran, the word of God remains Almighty Supreme supreme and all other literary arts position.

Key words: literary rhetoric, systems, Quranic method, the technical picture-Quranic miracle .

الملخص :

تلازمت البلاغة العربية بالظاهرة الأدبية منذ الأزل و لم تنفك عنها إلا في عصور سادها

الضعف والتدهور في مناحي الحياة المختلفة ، و منها جانب الأدب .

و لقد اهتم العرب بالبلاغة اهتمامهم بالحياة العامة ، و جعلوها غاية في لسانهم العربي ، بها تستقيم

أساليبهم و بها يقتدي الشعراء و الكتاب ، إذ هي الأدب حاضرة فيه بمثابة المادة الحية التي تسري

في عروقه بهاء و رونقا و جمالا من ناحيتي المبنى و المعنى ، و لما جاء القرآن الكريم تأثروا بأساليبه

المعجزة و قوة بيانه . مما جعله الرافد الرئيسي للبلاغة العربية ، فوسع آفاق الذهن العربي الذي كان

مرتبطا بالحياة الصحراوية و ظروف معيشته مما فتح الباب للخيال من حديثه عن الغيبات كالجنة

و النار . ولعله — القرآن — كان الباعث الأول في التأليف البلاغي .

لقد كانت البلاغة العربية في مراحلها الأولى ممثلة تمثيلا أدبيا ، إذ لم تكن بالمادة المقعدة و لما

توسعت رقعة الدولة الإسلامية ، و ظهرت الفرق الإسلامية و المناظرات الكلامية بدأ الاهتمام

بفنون القول لدى كل فرقة من الفرق . و توالى الكتابات البلاغية ومنها: عبد القاهر الجرجاني

المتوفى (471 هـ) من خلال كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " و السكاكي (ت

626 هـ) في مؤلفه " المفتاح " و القزويني المتوفى (739 هـ) بكتابه " تلخيص المفتاح " و " الإيضاح

" و نذكر كذلك الزمخشري في كتابه التفسيري للقرآن الكريم " الكشف " الذي ساهم كثيرا في

إثراء الدرس البلاغي من خلال طرحه لقضايا بلاغية عديدة .

و انطلاقاً من كلّ هذا كان اختيارنا موضوع: "البلاغة الأدبية في القرآن الكريم تفسير الزمخشري

نموذجاً "

ولقد كان التنقيب في هذا الموضوع عن عدّة عناصر ومن أهمها معرفة أهم القضايا الأدبية التي

احتواها القرآن الكريم ، إلى جانب مكنن البلاغة فيه ، أهى من الصرفة أم في نظمه العجيب

، بالإضافة إلى دراسة تفسير الكشاف للزمخشري بغية التعرف على نوعية تصنيفه إذ هو كتاب

تفسيري ، غير أنّه عالج القضايا البلاغية بدقة و عناية ، وساهم في إثراء الدرس البلاغي العربي

و على هذا الأساس اقتضى البحث أن نستهلّه بمقدمة و يليها مدخل لتتبعه بعرض حرصنا على

هيكته في فصلان وخاتمة .

ولقد كان المدخل الموسوم بالبلاغة الأدبية بين التقليد و التجديد عبارة عن إطلالة عن الموضوع

بشكل عام ، و تحديد بعض المصطلحات، ومن بين القضايا التي تناولنها فيه:

أهمية علم البلاغة، وذلك لما له من أهمية قصوى ، خاصة أنّه العلم الذي تمّ في كنفه دراسة القرآن

الكريم و إعجازه ، و محاولة الكشف عن خصائصه البيانية التي بواته هذه القمة المعجزة . بالإضافة

أهمية البلاغة فإنّ هذا المصطلح في حدّ ذاته يفرض علينا في البحث اللّجوء إلى بعض التعريفات

والمفاهيم و التي ذكرنا بعضها منها ، فكانت البداية بمفهومه لغة ، ثمّ انتقلنا إلى التعريف الاصطلاحي

عند بعض علماء البلاغة ، التي تقاطعت تعريفاتهم في أنّها لا تنحصر في تلك الوظيفة النفعية التي

تقصد الإفهام و الإيصال والتي يتقاطع فيها سائر أنواع الكلام ، وإنّما هي إيصال المعنى إلى القلب

في أحسن صورة من اللفظ .

غير أن البلاغة العربية - وإن لقيت عناية كبيرة في عصورها الأولى - تخلّفت عن ركّب العلوم الحديثة، واعترض طريقها من الصعاب والعقبات ما وقف بها عن بلوغ الغاية، وحادّ بها عن مسار الذوق والفن والجمال.

ذلك أن البلاغة بعد أن أئبعت على يد الإمام عبد القاهر، ما لبثت أن استقرت على يد علماء الكلام والفلسفة والمنطق، فحوّلوها إلى تعاريف وتقاسيم تقوم على الجدل.

فمنذ ألف السكاكي في القرن السادس الهجري كتابه "المفتاح"، وجعل القسم الثالث منه في علم البلاغة، وكتب المؤلفين تدور حوله، وثبني عليه، وتنهج طريقته الكلامية الجدلية، بل تزيد عليه تعقيدات وإغراباً، وجاء القزويني، فلتجّه هو الآخر إلى "مفتاح العلوم"، ولخصّ قسمه الثالث، بعد أن رأى فيه حشواً وتطويلاً وتعقيداً، فهذبّه ورثبه، ولكن بنفس الطريقة والأسلوب، ثم رأى أنّ هذا التلخيص غير وافٍ بالعرض، فوضع شرحاً على تلخيصه هو "الإيضاح"، وهذا الكتاب هو الذي وقفت عنده البلاغة، ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد. وفي كتابي القزويني "التلخيص" و"الإيضاح"، يجد الباحث الفلسفة وأساليب المنطق مجسدة أمامه؛ ممّا يعوق الانتفاع من بلاغته في صقل الأذواق وتربيتها.

وفي العصر الحديث تعددت المذاهب الأدبية، وكثر الحديث حول البلاغة فريق يدعوا إلى العناية بالمضمون، وآخر إلى العناية بالشكل والصورة، بينما نادى فريق آخر إلى الالتزام في الأدب. وألّفت كتب كثيرة منها كتاب "الأسلوب" لأحمد الشايب وكتاب "فن القول" لأمين الخولي والبلاغة الواضحة للجارم علي وغيرها من التأليفات.

- الفصل الأوّل و الموسوم بـ " الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم " فكانت الدراسة فيه تدور حول بعض العناصر ، حيث تناولنا النظم وعلاقته باللفظ والمعنى ، وكانت البداية مع مفهوم النظم لغة و اصطلاحاً ، وهو في اللغة الجمع والضم والاتساق والنظام والتأليف ، وهو الفلك الذي دار حوله المعنى الاصطلاحي للفظة عند المتكلمين في حديثهم عن الإعجاز القرآني وأصبحت نظرية كاملة عند عبد القاهر الجرجاني والزمخشري و كان أساسها المعنى اللغوي الذي هو ضم الشريء إلى الشريء وتناسقه.

ومن التعريفات نذكر ما ذكره عبد القاهر في حديثه عن النظم " وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل علي قوانينه وأصوله ... " كما يذهب إلي أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبيّن بعضها علي بعض وتجعل هذه بسبب من تلك، وجعل الزمخشري النظم " بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً وكيف يأخذ بعض بحجز بعض " . وهكذا تتبين الصلة الوثيقة بين النظم في مفهومه اللغوي وبين ما هو عليه في معناه الاصطلاحي، إذ المدلول اللغوي يعنى ضم الشريء إلى الشريء كما تضم حبات اللؤلؤ في السلك، وهو ما ينطبق على المفهوم الاصطلاحي الذي يعنى التأليف للكلام ونظمه بتوخي معاني النحو وإحكامه .

ولم تكن هناك دراسة مقننة للنظم في العصر الجاهلي والأموي، فالبلاغة كانت سليقة لدى القوم ومع مجيء العصر العباسي واختلاط العرب بالعجم بدأ اللحن يتفشى، وظهر الخوف على لغة القرآن الكريم - اللغة العربية - فظهر علماء أدركوا أثر تنظيم الكلمات في المعنى الواحد، وأخذت

الدراسات النحوية واللغوية تتوالى وازدهرت البلاغة ومن بين من ساهم في إثراء الدرس البلاغي نذكر أبو عبيدة والذي حاول من خلال كتابه إعجاز القرآن شرح ما في النظم العربي من تقديم وتأخير وغيره ، وهذا ما فتح الطريق لدراسة الإعجاز القرآني من حيث نظمه وتأليفه.

و بدأت النظرية تتسع على يد الجاحظ ، وابن قتيبة ، ومؤلفه ((لتؤيل مشكل

القران)) وكان يرى هو الآخر إعجاز القرآن في نظمه .

و الرماني الذي تحدث عن النظم القرآني في رسالته (النكت في إعجاز القرآن)

فذكر أن حسن البيان هو تعديل النظم ولعله أراد ما أطلق عليه الجرجاني لاحقا

إسم النظم.

ويأتي أبو سليمان الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن ، وأبو هلال العسكري ، وأبو بكر الباقلاني

، والقاضي عبد الجبار ، ثم جاء عبد القاهر الجرجاني ليتميز عن سابقه ويؤسس لهذه النظرية بعد

أن كانت عبارة عن أفكار وشذرات متناثرة تعتمدها ضبابية ، ويأتي بعده الزمخشري المطبق لما جاء

به الجرجاني ما وسع المجال أكثر .

ثم تناولنا الأسلوب فكانت البداية بالوقوف عند مفهومه اللغوي و الاصطلاحي وكيف تناوله

القدماء والمحدثين بالدرس و التحليل ، لنتجه بعد هذا العرض مباشرة إلى أسلوب الفاصلة القرآنية

والذي ضمناه العناصر التالية : مراعاة الفاصلة القرآنية ، التقديم والتأخير ، أسلوب التكرار في

الفاصلة القرآنية ، أسلوب الإيقاع في الفواصل القرآنية .

ثم ذكرنا خصائص الأسلوب القرآني ومن بين خصائصه ، نذكر أن أسلوبه خارج عن المؤلف من كلام العرب ، فلا هو بالشعر و لا بالنثر ، كما أنه مهما تعددت واختلفت مواضيعه فإنه يظل على مستوى واحد في البيان سواء كان ذلك من حيث جمال اللفظة ، أم في عمق المعنى ودقة الصياغة ، وروعة التعبير . ومن بين خصائصه أيضا معانيه التي صيغت من أجل أن يخاطب بها الجميع على اختلاف ثقافتهم و تباعد أزمتهم و أمكنتهم . ويتميز أيضا بخاصة اختلافه عن باقي المؤلفات من حيث التبويب والتنسيق ، فنجد أن غالبية مواضيعه لاحقة بعضها ببعض ومتداخلة مع بعضها البعض .

أمّا العنصر الثالث الذي طرحناه في هذا الفصل : التصوير الفني في القرآن الكريم ، تناولنا فيه التصوير الفني المعتمد على الحقيقة ، لنتقل بعدها إلى التصوير البياني المعتمد على الخيال وذلك من خلال الاستعارة بكافة أنواعها ، لنتقل بعدها إلى المجاز المرسل و المجاز العقلي بكافة علاقاته السببية و المسببية والآلية والبزمانية والمكانية ، وبعدها مباشرة درسنا التشبيه وتعرضنا إلى كافة أنواعه بالدرس و التحليل . وبهذا قد أنهينا الفصل الأول لنتبعه بالفصل الثاني و الموسوم ب المصطلحات البلاغية في تفسير الزمخشري .

ارتأينا أن نستله بالمميزات العلمية والثقافية عند الزمخشري ، ذكرنا فيها أهم المؤثرات الفكرية والثقافية والعلمية التي تشكل منها فكره ، وأثرها في توجيه حركة المنهج البلاغي في تفسيره "الكشاف عن حقائق التزويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " ، بالإضافة إلى نبذة مختصرة عن نشأة الزمخشري وبيئته . لنتجه بعدها إلى تحليل أهم المصطلحات البلاغية في تفسيره ، فكانت

البداية بعلم المعاني والذي يطلق على مباحث تتعلق بالجملة وما يتعلق بها من حيث الدلالات

البلاغية ، وقد تناول الزمخشري أغلب أبوابه ذكرنا منها :

- التقديم والتأخير والذي يعدّ أحد أساليب البلاغة ، ويُأتى به للدلالة على التمكن من

الفصاحة . ومنه ذكرنا أنواع التقديم ، التقديم و التأخير في الجملة الفعلية وضمّناه : تقديم الإسم

على الفعل ، التقديم والتأخير بين الإسم والفعل في الاستفهام التقريري و الإنكاري أو عقب نفي ،

التقديم والتأخير في الجملة الإسمية .

- الحذف وهو كما عرفه عبد القاهر الجرجاني أنّ ترك الذكر أفصح من ذكره ، والصمت عن

الإفادة أزيد للفائدة ، وتجّدك انطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين .

- الفصل و الوصل والذي يرى الجاحظ أنّ معرفته معرفة للبلاغة ، والفصل هو ترك عطف بعض

الجمل على بعضها البعض ، أمّا الوصل فهو عطف بعضها على بعض ، و ذكرنا أمثلة مع الشرح

وذكر السبب من خلال ما درسه الزمخشري في الكشف .

- القصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، وقد بيّنه الزمخشري في كثير من المواضع في

تفسيره قمنا بدراسة بعض منها بالشرح والتحليل .

ثمّ إنتقلنا إلى دراسة علم البيان في الكشف: لقد تطرق عبد القاهر الجرجاني في توجيهه البلاغي

للآيات إلى كل مباحث علم البيان المعروفة وهي : الاستعارة والمجاز و التشبيه والتعريض ، غير أنّه

أضاف الإلتفات والذي عدّه العلماء قبله من علم المعاني .

ولقد تناولنا في هذا الفصل الاستعارة بجميع أنواعها و التي ذكرها الزمخشري في كشافه :

الاستعارة الأصلية ، الاستعارة التبعية ، الاستعارة المكنية ، الاستعارة التمثيلية ، الاستعارة

الترشيحية، الاستعارة اللفظية . و ذكرنا لكل نوع من هذه الأنواع مع أمثلة من تفسير الكشاف

شرحاً وتحليلاً . ثمّ درسنا الكناية والتي بيّنها الزمخشري في تفسيره وأبرز فوائدها المرجوة وقيمتها

الأدبية، كما ذكر أقسامها وفرّق بينها وبين التعريض . ومن أنواع الكناية التي بحثنا فيها : الكناية

عن صفة والكناية عن موصوف والكناية عن النسبة .

لنتقل بعدها مباشرة إلى النوع الثالث من أنواع علم البيان ألا وهو المجاز وتطرّفنا إلى جميع علاقاته

، ونجد أنّ الزمخشري لم يستخدم مصطلح " المجاز المرسل " وإنّما استخدم مصطلحات كانت

متداولة قبل ظهور مصطلح المجاز وهي كالحذف و الاتساع والإضمار ، وكثيراً ما كان يستخدم

عبارات نحو - من باب المجاز - و على الحقيقة - و المراد منهما من خلال قوله الحقيقة والمجاز .

ثمّ اتجهنا إلى دراسة التشبيه وقد تناوله الزمخشري هو الآخر في كتابه وبيّن أنواعه ، ودرس علاقته

بين الطرفين في حال التعدد والتركيب والإفراد .

ومن أنواع التشبيه التي تناولناها في دراستنا : التشبيه التحليلي ، التشبيه المركب والمفرد و المفرق ،

التشبيه المقلوب . لنتمم هذا الفصل بعلم البديع في الكشاف ولم يكن الزمخشري من الداعين إلى

الزخرفة اللغوية التي لا تحدم المعنى ، ودعا إلى استخدام ألوان البديع في مكانها المناسب .

ولقد درس ألوان البديع من خلال تفسيره حاولنا أن نعرّج على بعض منها :

-الإلنفات ، اللّف والنشر، التجريد ، التقسيم ، المقابلة ، الجناس مع ذكر أمثلة لكل منها وتحليلها من خلال الكشاف عن حقائق التّريل وعيون الأقاويل . وبهذا نكون قد أهينا الفصل الثاني .

وأخيرا وليس آخرا الخاتمة وهي حوصلة بحثنا ، عرضنا فيها أهم النتائج التي تحصلنا عليها: -لم توجد البلاغة بشكلها النظري بادئ الأمر ، حيث كانت ذات صبغة عملية برزت من خلال النظم و النثر . سارت البلاغة في خطى التطور عبر أمد طويل ابتداء من كونها صفة للكلام الجيّد الحسن إلى أن أصبحت علما له قواعده و أحكامه و قوانينه و تعريفاته و حدوده . كانت البلاغة و لا زالت موضوعا مشتركا بين الدراسات القرآنية و اللّغوية و الأدبية و النقدية ، و الفلسفية ، أيضا .

-تعين البلاغة على البيان وتساعد على الفهم . يعدّ القرآن العامل الرئيسي الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها.

-يقول الله عزّ و جلّ " أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" النساء 82 . إذ أن أبرز شيء في إعجاز القرآن هو في عدم اختلافه و تباينه مهما تعددت موضوعاته ، فهو يجري في نسق واحد ما يظهر فصاحته و بلاغته و بيانه . سر الإعجاز القرآني هو في تأليفه الميّز و نظمه العجيب .

-أصل لفظ النظم في وضعه اللّغوي للدلالة على شيء محسوس و مادي ، يتعلق بترتيب الخرز و اللؤلؤ في السلك ، ثم تطور إلى الدلالة المعنوية و التي تعني ترتيب الكلام . فكرة النظم فكرة عربية محضة ولدت في أحضان القرآن الكريم ، ثم تطورت لتصبح نظرية متكاملة تُعنى بإعجاز القرآن الكريم .

-الفضل في نظرية النظم مشترك بين القدماء و عبد القاهر الجرجاني ، غير أن عبد القاهر الجرجاني كان هو من أستطاع أن يربطها بالنحو ، فالبلاغة ما هي إلا نتيجة لإقامة قوانين النحو و قواعده .

-تعليل الظواهر النحوية يؤدي إلى الكشف عن أسرار بلاغية عميقة الدلالة ، و على هذا الأساس فإن فهم البلاغة القرآنية لن يتحقق إلا بفهم النحو .

-الأسلوب القرآني هو أسلوب فريد و متميز بنظمه و فواصله و تصويره الفني و بذلك لا مجال لمقارنته مع كلام البشر ، حتى و لو كان صاحب هذا الكلام من جبايرة البلاغة و البيان .
-مرد جمال الأسلوب القرآني هو لما فيه من معاني إضافية للتعبير من تقديم و تأخير و ذكر و حذف ، وصل و فصل ، وقصر و غيرها من خصائص العبارات .

-من أساليب القرآن أسلوب القصر ، و يبرز جماله في الأسلوب الموجز ، المتلاحم الذي يتضمن المبالغة و التوكيد و يحفظ التوازن لمكوناته .
-من السمات الأساسية لأسلوب القصر أنه يحق المقولة التي عرفت عن البلاغة بأنها الإيجاز .
-في أسلوب القصر لا تغير الحركة الإعرابية للمقصور و المقصور عليه ، لضعف التأثير الإعرابي لأدوات القصر ، وبهذا يتحوّل الكلام بالقصر من كلام عادي إلى كلام يصنع في النفوس صنيع السحر .

-من خصائص الأسلوب القرآني فواصل الآيات التي تجمع إلى حسن النظم و عذوبة اللفظ ، حسن الدلالة و كثرة الفائدة ، وهي بذلك أحد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .
-تسمية الفواصل بهذا الاسم استنادا لقوله تعالى في سورة هود : " أَلرَّكَّابُ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " .

-من أهم أسرار الإعجاز في الفواصل : المزاوجة ، التناسب ، إحكام الربط الفني ، مراعاة الفواصل و تحقيق التناغم و الإيقاع .

- يعدّ التصوير الفني للقرآن الأداة المفضلة ، فهو يغبر عن الصورة المتخيّلة و عن الحالة النفسية ، و عن الطبيعة البشرية ، و من ثمّ يرتقي بهذه الصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحياة و الحركة .

- لا يعدّ كشاف الزمخشري مجرد تفسير و فقط ، بل هو عبارة عن موسوعة للمصطلحات البلاغية ، فبالإضافة للتفسير جمع فيه علوم البلاغة دارسا إياها من ناحية الإعجاز القرآني .
- يرى الزمخشري أنّ زاد طالب العلم في تفسير القرآن الكريم علم المعاني و علم البيان ، فبدونهما لا تستقيم الدلالة ، ولا تتضح لطائف الذكر الحكيم ، وجماله البلاغي المعجز .
- علم المعاني وصي بكل ما يتصل بالمعنى النحوي للكلمة و موضعها في الجملة ، إذ هو علم القواعد المتعلقة بأركان الجملة و متعلقاتها في اللّغة العربية ، يبيّن الحالة التي ينبغي أن يكون عليها المسند و المسند إليه

- استطاع الزمخشري أن يقدّم صورة جديدة لتفسير القرآن تفسيرا بيانيا بالمقارنة مع سابقه .
- يعدّ الزمخشري خير من توسع في نظرية عبد القاهر الجرجاني ممّا أكسبها حيوية التدوق اللّغوي ، وأضاف إلى معالمها الكثير ، وهذا ما يدلّ على غوره و عمقه في هذا الفن .
- عمد الزمخشري إلى الإكثار من الشواهد و الأمثلة لتكون سراجا للبلغاء من دون الإلحاح على التعريف و التوضيح .

- درس الزمخشري في كشافه علم البيان و ضمّنه كل ما يتعلق ببالحاز و التشبيه

و الاستعارة .

- لم يول الزمخشري للبديع الأهمية الكبرى قياسا مع علم المعاني و علم البيان ، فلقد اعتبره فرعاً من فروعهما ، حتى أنّه لم يذكره حينما تحدث عن ما يجب أن يتزوّد به طالب

التفسير للقرآن الكريم ، ونجده قد درس الالتفات في علم البيان ، و هو في حقيقة الأمر أحد فنون علم البديع .
